Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES

أبو القاسم محمد كرّو

الشابي

حياته - شعره

منشورات
المكتبة العلمية ومطبعتها
شارع المعرض - بيروت
الطبعة الثانية

أبو القاسم محمد كرّو

الشابي

حياته ـ شعره

انت يا شعر فلذة من فؤادي
تتغنى... وقطعة من وجودي !
فيك ما في جوانحي من حنين
أبدي الى صميم الوجودِ ..!!
« الشابي »

منشورات
المكتبة العلمية ومطبعتها
شارع الأمير بشير ـ بيروت

الطبعة الثانيـــة

١٩٥٤

الاهداء

إلى عبقرية الشابِّي وروحه

وإلى محبِّي شعره، ومقدريّ نبوغه

ارفع هذه ــ البداية ــ من الثمرات

التي جنيتها من دراستي لحياته وأدبه

ابو القاسم محمد كرّو

893.15L 11
DK

165471E

مقدّمة

ان الاكثرية الساحقة من ابناء الشرق العربي ، لا تعلم شيئاً عن حقائق الحياة في بلاد المغرب العربي ، باقطارها الثلاثة (تونس ، الجزائر ، مراكش) . والقليل منهم من أتيح له ان يعلم بشيء يسير او غير يسير مما يعانيه ابناء المغرب العربي من اضطهاد استعماري بغيض . وذلك منذ وقت قريب ، حيث تكونت بالقاهرة ـ بعد تأسيس جامعة الدول العربية ـ مكاتب لهذه الاقطار ، تقوم بالدعاية لقضاياها والتعريف بها . ثم وحدت في شباط (فبراير) ١٩٤٧ تحت اسم « مكتب المغرب العربي » بالقاهرة . فضلاً عن المكاتب الاخرى التي لا تزال تعمل عملها في مصر وفي غيرها من الاقطار العربية والاوروبية . ولكن هذه المكاتب جميعاً بحكم المشرفين عليها وبقصد الغاية من وضعها ، فان عملها كان ولا يزال سياسياً او مطبوعاً بطابع السياسة . لذلك احببت ان اقدم الى القراء العرب في اقطار الشرق العربي علماً من اعلام النهضة العربية في تونس ، ليعلموا اي حد بلغته تونس في نهضتها الادبية والثقافية الماثلة اليوم .

ولقد تحيرت بادىء الامر فيمن أختاره من أعلام تونس ورجالاتها ، وهم كثر في كل حقل من حقـــول الحياة وكل مجال من مجالات الفكر والمعرفة . ولكن هذه الحيرة مـا لبثت ان تلاشت مرة واحدة حين استحضر الذهن اسم نابغة الادب العربي المرحـــوم « ابو القاسم الشابيّ (١) » . الشاعر المجدد والكاتب الثائر على كل عتيق لا ينفع وقديم لا يفيد . وقـــد زادني استحساناً لاختياري ، انه معروف لدى كثير من ادباء الشرق العربي . غـــير ان معرفتهم له لا تتعدى اطلاعهم عـــلى مختارات قليلة من شعره ، وترجمة قصيرة لحياته لا تخلو من خطأ واجحاف . وذلك لعدم وجود مصدر صحيح تؤخذ منه المعلومات الصادقة عن حياة الشابيّ وأدبه . لا سيما وان الأدب التونسي عامة ، وحيـــاة ادبائه خاصة ، يكتنفهما الغموض والجهل التامان . ولا اكون مغالياً حين اقول : ان اخواننا الادبـاء في الشرق العربي لا يعرفـون من الادب العربي في تونس واعلامه ، الا نزراً يسيراً ، يأتيهم هائمـــاً في بعض المجلات الشرقية ، او التونسية التي يتـــاح لها ان ترى بلاد الشرق ويراها ابنـاؤه . وبديهي ان ذلك كله لا يستطيع معـه الاديب الكبير ـ فضلاً عن القارىء العـــادي ـ ان يكون رأيـاً خاصـــاً عن الأدب العربي في تونس ، او تتجلى عنده صورة حية واضحة لما بلـــغ اليه الأدب التونسي في آفاقه من صعـــود وتتجدد واشراق !..

---

(١) من الخطأ الشائع على ألسنة الادباء في الشرق ، قراءتهم لقب الشاعر « الشابي » بتخفيف الباء . والصواب تشديدها .

على اننى لست بحاجة بعد ، لأن ابين الاسباب التي جعلت ابناء الجناح الايسر يعيشون في عزلة تامة عن اخوانهم في الجناح الايمن ، وجعلت هؤلاء يكادون لا يعلمون شيئاً يستحق الذكر من واقع الحياة في بلاد المغرب العربي ، ومدى ما بلغت اليه أقطار هذه البلاد في نهضتها الماثلة اليوم ، من تقدم وازدهار وتجدد وانبعاث . سواء في ميادين السياسة والاقتصاد ام في الحقول العلمية والادبية ام في مناحي الحياة الاخرى .

نعم . لست في حاجة لبيان الاسباب ، لأن الكبير والصغير والمتعلم والجاهل يعلم اليوم انها اسباب استعمارية خالصة ، صنعها الاستعمار الغربي في مصانع مطامعه ، واقامتها سداً حصيناً بين اقطار العرب ، اغراضه القذرة ومصالحه الحقيرة .

وقبل ان يمضي معي القارىء لغير المقدمة من فصول هذا الكتاب . اود ان اقدم اليه أربع ملاحظات تتعلق بما سيأتي من حديث ، وبما سيأتي من مختارات الشعر والنثر :

الاولى : انني لم اقدم كل ما كان يجب ان يقدم من حياة الشابي وجوانب شاعريته ، وانما بذلت جهدي في ان اعطي للقارىء صورة واضحة المعالم ، كاملة الخطوط ، عن حياة الشابي وبيئته ، وجوانب اخرى تتصل بهذين اتصالاً وثيقاً مرة وغير وثيق مرة اخرى .

الثانية : ان المختارات من شعر الشابي ، ليست تعني انها جميعاً من جيد شعره ، وانما اخترتها ـ قصداً ـ متفاوتة ، لتمثل لنا مراحل شاعريته واطوار

حياته . ولتتيح للقراء ان يتفهموا - اعتماداً على مواهبهم - مراحل التكوين في شخصيته ، وامداء الانطلاق في شعره . وبما ان ادراك هذه المراحل ، مرحلة فمرحلة ، وتحديد هذه الامداء مدى بعد آخر ، امر غير ميسور بكل معنى اليسر ، فقد توخيت ايضاح ذلك بقدر المستطاع ، فجعلت المختارات ذات قسمين : احدهما ما قاله الشاعر قبل العشرين من عمره ، والآخر ما جاء بعد ذلك . ولعل في هذا بعض ما يعيننا على تفهم شعره ومعرفة شاعريته بوضوح كثير .

الثالثة - ان هذا الشعر المختار ، ليس كل ما ترك الشابي ، او احسنه ، وانما هو مجموعة مختارة من كل ما استطعت الحصول عليه من شعره . واني وان كنت غير مطلع على ديوانه (اذ لا يزال سراً في اعماق الغيب) الا انني استطيع ان اؤكد ان في هذا الديوان شعراً اكثر مما نشر على الناس في هذا الكتاب وفي غيره من النشرات الاخرى . وان من بين هذا الشعر قصائد رائعة قد تفوق الكثير مما في هذه المختارات .

الرابعة : انني لم احاول ان افرض شيئاً على القارىء في كل ما كتبت . فله ان يقبل منه ما يشاء وان يرفض ما يريد . غير انه سوف لا يستطيع ان يرفض ناحيتين اثنتين ، بأي حال من الاحوال :

احداهما : تلك الحقائق والمعلومات التأريخية المنوعة ، التي اشتملت عليها بعض الفصول من هذا الكتاب . واني اذ اثق في هذا الامر بالذات ، فلأني اتحدث عنه حديث من استقى الحقائق من مصادرها الأصلية ،

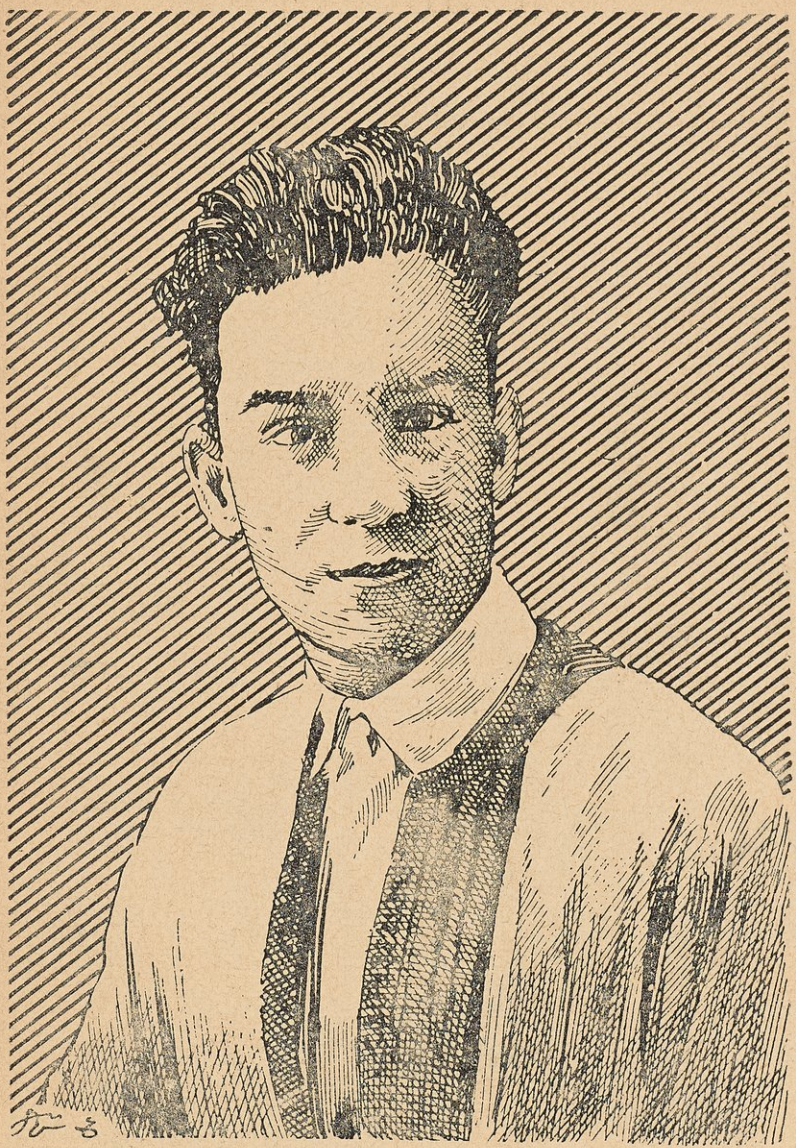

ابو القاسم الشابي

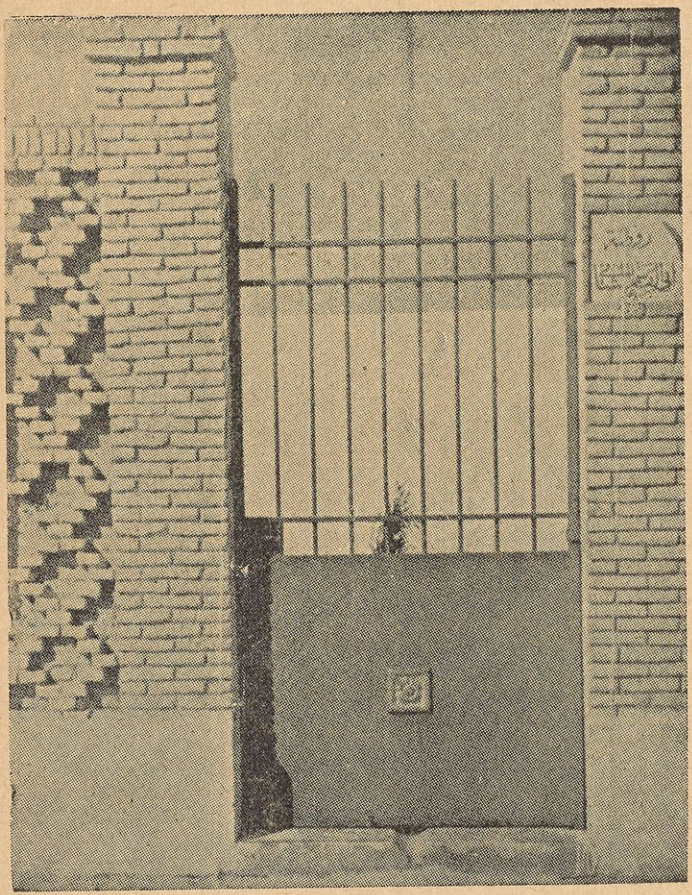

باب روضة ابي القاسم الشابي

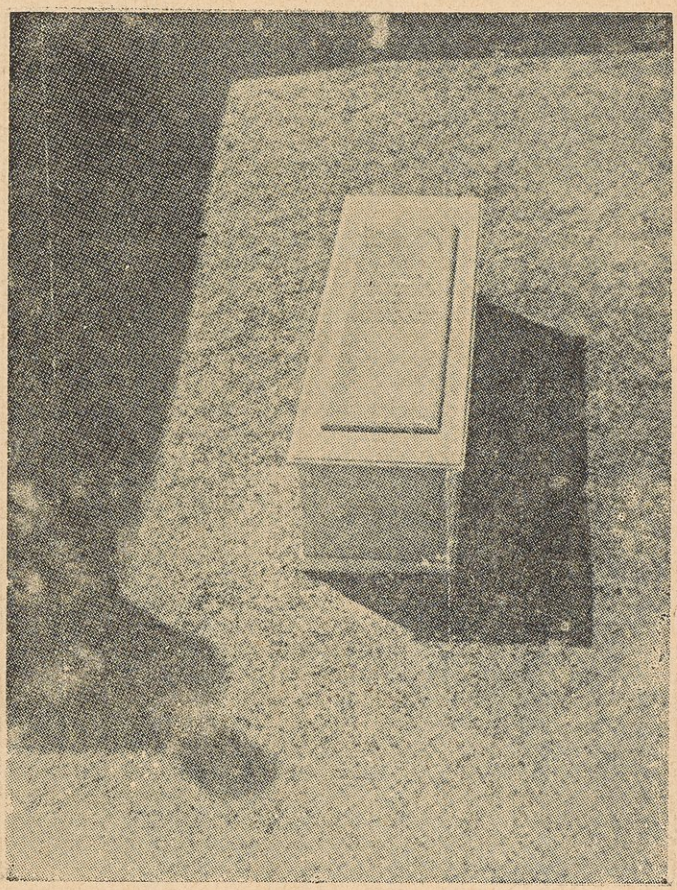

ضريح ابي القاسم الشابي

واستخلص المعلومات من البيئة التي عاش فيها الشاعر ، ومن كل المنابع الاخرى ذات الصلات الوثقى بالشاعر نفسه وبحياته ذاتها . فقد اتصلت بالكثيرين من زملائه واصدقائه واقاربه ، وبالكثيرين من الادباء التونسيين الذين عاصروه ولا يزالون على قيد الحياة . فكنت ابحث عن الصغيرة والكبيرة ، واسأل عن كل الاشياء القليلة الاهمية ، والبالغة القيمة ، ما دام في معرفتها شيء من العلم والفهم لنواح جديدة من حياة الشابي واطوار شاعريته الفذة . فحديثي عنه ـ اذن ـ حديث مواطن من مواطنيه ، وحديث امرىء شغف بشعره ، وبهذه الحياة الرائعة المثلى ، التي عاشها مبدع هذا الشعر . وقد سبق ان اشرت الى الاسباب التي جعلت حياة الشابي وادبه يكتنفهما الغموض والخطأ في الشرق العربي . وهذا وذاك ما دفعني الى القيام بهذا العمل ، والى الاعتقاد بأن الفائدة من كل هذه الجهود التي بذلتها فيه ليست قليلة الاهمية .

ثانيتهما : ان الشابي كان نسيجاً من العبقرية وحده ، ومجدداً بكل ما في هذه الكلمة من معان ومفاهيم . وعندي انه ليس مجدداً فحسب ، بل زعيماً جريئاً بين المجددين . ولسوف يتحقق اكثر من ذلك يوم يتاح للقراء ـ وللادباء منهم بوجه خاص ـ ان يطلعوا على كل ما خلفه الشابي من شعر ونثر ، ويومئذ سيحتل مكانته الرفيعة ، لا بين شعراء العربية وحدهم بل بين الشعراء العالميين ايضاً !

ولن يبعد كثيراً ذلك اليوم الذي نرى فيه ادب الشابي يترجم الى

كثير من اللغات العالمية . بل ان طلائع هذا اليوم قد بدأت فعلاً ، فقد ترجمت عدة قصائد من شعره الى عدد من اللغات الحية كالفرنسية والايطالية والانكليزية . وقد اعجب ادباء هذه اللغات اعجاباً بالغاً بها . لا سيما حين علموا بأن شاعرها عربي خالص في لغته وثقافته ، فهو لم يعرف في حياته لغة اجنبية واحدة ، وبذلك بعد عن الطابع الغربي المباشر ، واخلص للغته العربية اخلاصاً جعله يتفانى في بناء مجدها الأدبي الرفيع .

وهذا الشاعر الايطالي « قويدو ميدينة » الذي عاش في تونس زمناً من حياته غير قليل ، يناجي زملاءه الشعراء في كتابه « افريقية » . فيقول عن الشابي وعن « سكاليزي » (١) . مهدياً اليهما هذا الفصل الرائع :

(باسميكما يزداد كتابي هذا ثروة ، ولولاكما لكان اصفر اللون حقيرا. واني اهدي هذه الصفحة لذكراكما ـ يا اخوي في القافية ـ لأنكما كنتما وحدكما مطربي هذا الوطن :

---

(١) « .. وسكاليزي ، هو شاعر بائس ولد بتونس ، من اب صقلي وام مالطية ، وعاش بها للفقر والجوع والعناء ، ومات وعمره ثلاثون سنة بداء الصدر والجنون بمأوى « بالرمو » من جزيرة « صقلية » واشعاره نشرها في مجلات تونسية متباينة ، وجمعتها وحدة كتاب الشمال الافريقي الفرنسيين . واذاعتها في الناس مصدرة بكلمة الاستاذ « دوريل » ويعجب القارىء إذ يعلم ان قصائده لا تتجاوز الخمسة والثلاثين صفحة ، ومع هذا فلها كل الفضل فيما يتمتع به سكاليزي من ذيوع وشهرة ، وبها استطاع هذا البائس ان ينفذ الى قلوب الكثيرين ويأخذ من احترامها بنصيب غير تافه ، وهي قصائد او فقل هي مشاهد دامية من حياة البؤس والعناء ، وتقرأها فاذا انت تلقاء صديق بل تلقاء اخ ، لا تملك له – وهو تحت اطباق الثرى – غير العطف ، ولا تستطيع لتبرمه وتشاؤمه غير الاشفاق والرثاء .. » : عن مجلة العالم الادبي التونسية من مقال بقلم الاستاذ المرحوم محمد البشروش . ع ٣ سنة رابعة ص ٦٠ .

فاذا ما تحرك النخيل وداعبته الريـــاح ، فأنا لا افكر إلا فيك يا شابيّ ! .

مهما مررت من شارع «المالطيين»(١) فانت يا سكاليزي هو الذي تمر امامي.

لقد ملأتما كافة اطراف هذا البلد بلغتكما الموجعة ، وانتشيتما بجمال المآذن والمساجد ، وشوارع تونس الملتوية ، ولكن تغاريدكما كانت دائماً - يا اخوي - حزينة بائسة !

شأن اغانيكما شأن البلابل التي تختفي في الظلمات لا لميلهـــا عنها ، ولا لآنها تخشى النور ولكن لأن الشمس تحدث لها اوجاعاً كثيرة . . اجل الشمس التي تجلب السرور والخير ، اما انتما فانكما لم تقدرا قط على قبول هذا السرور وهذا الخير ...!

لقد كان نـــداء الشمس للحياة والسرور مصادماً لحركتكما ، جارحاً لعواطفكما . واني لاعذركما يا اخوي وارثي لحالكما !

لقد بحث كلاكما عن الوحي والالهام في المظاهر السمجة الغريبـــة ، في الغالب !

انت يا شابيّ كان قلبك يتألم ويتفطر عند رؤية الطبيعة وهي ثائرة ، والبحر وهو متلاطم بالامواج !

وانت يا سكاليزي ! كنت تجد راحتـــك في المخلوق الانساني الثائر ! لم يتطرق السرور ولا الابتسام قط لاشعاركما .

لقد اتحد روحكما وتفكيركما وقلبكما في كل ما كان ينزف بالدم والدموع.

---

(١) احد شوارع العاصمة التونسية .

لقد تقتما الى المرأة دون ان تنبسا في حقها بكلمة استحقـــاق قط !

لقد قضيتما في مستهل الحياة ، وتحملتما طيلتها استرقاقاً لا يعرف الرحمة . ولقد ذاب عذابكما وغاب شقاؤكما مع اسرار الشرق ...!) (٢) .

حقاً ، لقد ذاب عذاب الشابي وغـاب شقاؤه في احضان الابدية ، وانطلق الى كون من ضياء ومن نور ، ليعانق في رحابه عرائس الشعر وعـــذارى العبقرية .

وها أنا اعرض على الناس آلامه وعذابه وشقاءه وأساه ، مجموعة في هـــذا الكتاب ، الذي هو اول عمل يتم بهذا النوع عن حيـاة الشابي وادبه ، اذ لم يظهر حتى الآن في مجال الادب العربي كتاب يتحدث عن الشابي بأي لون من الوان الحديث ، رغم ما في أدب الشابي وحياته من مجالات القول والتعبير .

واذا كان ادباء الشرق العربي عـلى حق في عدم قيامهم بشيء في هذا المجال لعدم توفر المعلومات والنصوص عندهم ، فان ادبـــاء العربية بتونس والمغرب العربي عموماً ، لمسؤولون عن هذا التقصير المخجل في حـــق شاعرهم ابي القاسم . فهم اكثر الناس اتصالاً به وبأدبه في حياته وبعد موته . وهم المسؤولون عن آثاره ودراسة أدبه . ومع كل هذه المسؤوليات الجمة والحقوق البينة فانهم لم يفعلوا شيئاً لنشر ادب الشابي ودراستـه ، سوى اعمال صغيرة مبعثرة في المجلات والحفلات التذكارية التى تقام للشابي كل سنة تقريباً . فلا يزال ديوانه « أغاني الحياة » مجهـول المصير . كما لا تزال مؤلفـاته الاخرى (لدى اهله واصدقائه)

---

(٢) عن مجلة الثريا التونسية ع ٢ س ٣ ص ٣٥ .

عرضة للضياع والاندثار . ومن يدري ، فلعل بعض آثاره قد عفى عليها الدهر واصبحت في اعماق الفناء . فلا واجب الادب حرك الايدي للعمل ، ولا حقوق الصداقة ايقظت الضمائر وبعثت في النفوس همة لاحياء آثاره ونشرها على الناس . واذا كان لزاماً علينا ان نذكر الحق ونسجل الوقائع للتأريخ ، فأنه لواجب علينا ان نذكر بالثناء والتقدير الاستاذ زين العابدين السنوسي (١) الذي عرّف القراء في المغرب بالشابي وأدبه ، ونشر في كتابه « الأدب التونسي في القرن الرابع عشر » مختارات من شعر الشابي ، وهو بعد لم يبلغ العشرين من عمره ، كما تولى نشر كتابه الرائع « الخيال الشعري عند العرب » وذلك فضلاً عن العدد الخاص الذي اصدره من مجلته « العالم الادبي » في ذكرى الاربعين لوفاة الشاعر . وعن كل ما احتوته مجموعات مجلته من آثار الشابي ، ودراسات مقارنة بينه وبين بعض الشعراء الغربيين الى خدمات اخرى ليس هنا مجال تفصيلها ،

ومن الحق كذلك ان نذكر بالثناء والتقدير الاستاذ نورالدين بن محمود (٢) ، لما أسداه للادب العربي من خدمات بنشره بعض اشعار الشابي في مجلتيه « الثريا والاسبوع » وعنايته بكل ما يتصل بهذا الشاعر وآثاره .

واني لأهيب بالادباء في المغرب العربي عامة وفي تونس خاصة ان

---

(١) هو صاحب « دار العرب للطبع والنشر بتونس » ومدير جريدة « تونس » ومجلة « العالم الادبي » .

(٢) هو صاحب « دار المعرفة للنشر والتوزيع » ، ومؤسس « دار الهدى » اكبر دار للطبع في المغرب العربي ، ومدير مجلتي « الثريا » و « الاسبوع » .

ينهضوا لاداء واجبهم نحو هذا الشاعر العبقري ، وتجاه آثاره . فلقد مضت تلك الفترة المظلمة . التي كان يخشاها بعضهم ، واصبح شعره اليوم ، غذاء للعواطف وللقلوب . وادرك الجيل الجديد مدى ما في هذا الشعر من القوة والحيوية ، ومدى ما يحويه من صادق الشعور وعميق الصور . وان املي فيهم لكبير ، اما اخواني الادباء في جناح العروبة الايمن ، فانهم سيجدون في هذا الكتاب ـ بقسميه ـ مجالاً فسيحاً يتيح لهم الدراسة العميقة ، والعمل الفني المحكم ، لفهم نفسية الشاعر والنفوذ الى اعماق قلبه وخبايا معانيه .

واخيراً ارجو ان اكون قد وفقت الى عرض حياة الشابي عرضاً شاملاً ، والى ايضاح جوانب ادبه بأكمل صورة عرضت حتى الأن . واتمنى ان اكون بذلك قد عرفت القراء في الشرق العربي جانباً من الأدب العربي في تونس ، واغلقت باباً كان مفتوحاً للخطأ والتصحيف في حياة الشابي وأدبه . وعسى ان يتاح لي في مقتبل الايام تقديم ألوان جديدة أخرى من ادباء العرب وحياتهم في تونس ، وفي بقية اقطار المغرب العربي .

بغداد ١٩٥٠/٣/٢٥ — ابو القاسم محمد كرو

مقدمة الطبعة الثانية

عندما قدمت هذا الكتاب الى الطبع والنشر لأول مرة سنة ١٩٥٢ كنت واثقاً من ان القراء في اشد الحاجة اليه ؛ لأن الشابي لم يكن شاعراً معروفاً ومحبوباً لدى القراء فحسب ، بل كان الشاعر المفضل لدى كثير من الشعراء والكتاب في جميع البلدان العربية . غير ان هؤلاء لم يعرفوا عنه - سيما في اقطار العرب الشرقية - سوى بضعة قصائد من شعره وجزء يسير من حياته . وكانت اكثر القصائد تعرف محرّفة او مبتورة ، كما كانت حياته محاطة بالغموض والابهام وربما بالاخطاء ايضاً . فكان احساسي وادراكي لذلك كله اكبر حافز على اخراج الكتاب ونشره على الصورة التي عرف بها ، كما اشرت الى ذلك وفصلته في مقدمة الطبعة الاولى .

وكنت واثقاً بأن نجاح الكتاب واستقباله بالترحيب واللهفة سيكون - على الاقل - بسبب انه اول كتاب يطالع الناس بحياة الشابي مفصلة وبمختارات منوعة من شعره . وكنت اعتقد ان اخراج الكتاب بصورته تلك سيعطي احسن فكرة واكملها عن الشابي ، وسيؤدي الى ايضاح كثير من الغموض وازالة كثير من الخطأ اللذين كانا يشملان حياته وادبه . كما كنت اقدر ان الكتاب سيقوم بواجبه لا نحو الشابي فحسب بل نحو تونس وادبها الحديث ، اذ يعرّف القراء

بنموذج فذ من شعرائها المتفوقين ، وبشعر حي يفيض جمالاً وسحراً ، ويبعث في النفوس الجياشة والقلوب الواعية نوراً وحباً وايماناً .

وكان حسابي ان الكتاب سيكون له صدى في جميع البلاد العربية ، وفي تونس بوجه خاص ، لأنه قام بعمل مهما كان صغيراً وناقصاً فقد كان ضرورياً ومحتوماً ، لأنه بعث شاعراً كاد يطويه التقصير والخوف ويعفي عن آثاره العجز والخمول .

وفعلاً لقي الكتاب ترحيباً وتقديراً متناهياً من جميع الادباء والنقاد في البلاد العربية كلها ، فكتب عنه كثير منهم في الصحف والمجلات كتابات مشجعة وموجهة معاً ، مما جعلني اطمئن الى انني لم اخطىء بعملي ولم اتهور به ، كما حاول ان يصفني بذلك بعض الناس في تونس نفسها .

وانني لاعتز بكثير من تلك الكتابات والاراء التي حملتها الي الصحف او الرسائل الخاصة ، وهذا وحده يجعل الانسان مرتاحاً مع ضميره ويحفزه على المضي قدماً في طريقه المرسوم نحو غايته النبيلة .

ورغم اختلافي مع بعض هؤلاء النقاد فيما ابدوه من ملاحظات واراء ، فانني قد رأيت انصافاً لهم وللكتاب نفسه، ان اثبت في اوله نماذج من كتاباتهم؛ لتكون مناراً لي وحافزاً ، ولتعيد للذين تسرعوا في ارائهم بعض صوابهم ، ولتكون في الوقت نفسه خير حكم على العمل الذي قمت به بدافع من الحب العميق للشاعر والاخلاص لموطنه الذي اشترك معه في الانتساب اليه والاعتزاز بذلك .

واخيراً اود ان اشكر القراء عموماً والادباء والنقاد خصوصاً ، لما حبوني به

جميعاً من تقدير وعطف واهتمام . آملاً ان اكون عند حسن ظنهم بي ، وان احقق ما لم استطع تحقيقه في هذا الكتاب في كتاب جديد ضخم ، انهمك الآن في اعداده ، واحسب انه لن يظهر قبل خمس سنوات ، ان منحني الله اياها لاتمم عملي خلالها . هذا العمل الذي اعده واجباً لا مفر لى منه .

وقد رأيت ان اترك الكتاب في طبعته الثانية على صورته الاولى استجابةلرأي بعض النقاد الذين اثق بهم واعتز بصداقتهم .

وعسى ان يلقى الكتاب في طبعته الثانيـــة ما لقيه لأول مرة من ترحيب وعناية وتقدير .

وختاماً اتوجه مرة اخرى بالرجاء الحار والرغبة الصادقة الى اسرة الشابي والى زملائه واصدقائه الذين يملكون آثاره الادبية الكثيرة ويعرفون عنه وعن ادبه معلومات جمة ، اتوجه اليهم جمعـــاً بالرجاء ويشاركني في هذا جميع القراء والادباء العرب ، الى ان يسرعوا بنشر هذه الآثـار ، وان يبادروا قبل كل شيء بنشر ديوانه (اغاني الحياة) على الصورة الكاملة التي هيأها الفقيد لينشر بهـا . فان في ذلك قيامـاً بواجب مقدس نحو الشاعر خاصة ونحو بلاده والادب عامة . فهل تراهم يستجيبون هذه المرة ؟

ابو القاسم محمد كرّو

بيروت ١٩٥٤/٨/١٥

كتب حية

الشابي : حياته ــ شعره [1]

تأليف ابو القاسم محمد كرّو

●

هذا كتاب ممتاز لأديب ممتاز عن شاعر ممتاز. ألّفه احد نوابغ الأدباء التونسيين السيد أبو القاسم محمد كرّو من خريجي دار المعلمين العالية ببغداد، ومن الشباب الناهض الواعي الوطني الغيور الذي درس وساح وفكر، ثم بدأ يزكي عن معرفته لأبناء الضاد جميعاً، فأتحفنا بنخب من شعره المنثور في كتابه (كفاح وحب) ثم نفح العربية بدراسة ممتعة لحياة أبو القاسم وشعره، سيتبعها بدراسة اضخم.

وتقع هذه الدراسة التي نحن بصددها في كتاب ينتظم ثمانياً وثلاثين ومائتي صفحة من القطع المتوسط مطبوعة طبعاً أنيقاً ومزدانة بصور ملونة جميلة للقصائد البديعة التي اثبتها أو على الأصح لأهمها بريشة الفنان ع. شهـــال، وقد عنيت باخراجهـا في صورة جذابة المكتبة العلمية ومطبعتها في بيروت. وما كان الاستاذ كرو ولا شاعرنا العبقري ابو القاسم الشابي بحاجة الى شيء من البهرج والتزويق، ومع ذلك فانه يبهجنـا ان نرى الطبع الأنيق والشعر الأنيق والرسم الأنيق في

(١) نشر بمجلة الأديب اغسطس ١٩٥٣ « المؤلف ».

مثل هذه الوحدة الجميلة الخلابة .

وبروح المعلم ، وأسلوب الأديب الشاعر المعلم ، يحسن الاستـــاذ كرو في تقسيمه الكتاب وفي عرضه مواده فيتحدث بعد مقدمته البايغة عن الحياة الثقافية في تونس القديمة ، ثم عن النهضة الحاضرة ، فعن حياة الشاعر وبيئته الاجتماعية ، وعن تأثره بالادب المهجري ، وعن طاقتـه التصويرية والتعبيرية ، ثم عن زواجـه وحبه وعن مؤلفاته ، ثم يأتينا بمختارات شائقة من شعره فيقسمها قسمين ـ اولهما ما يرجع إلى ما قبل العشرين ، وثانيهما ما يرجع إلى ما بعد العشرين من سني الشاعر حتى وفاته ، ثم يختم كتابه بنمـاذج رائعة من نثر الفقيد ومعظمه بمثابة شعر منثور .

وليس بوسعنا في هـذه الالمامة ان نتناول تفاصيل ما عرضه المؤلف الفاضل تمهيداً للكلام عن ألمعية الشابي ، ولكن بحسبنا ان نشير الى ان هذا النابغة ظهر ـ ككثير من النوابـغ ـ في وسط متأخر بحكم الظروف السياسية والاجتماعية المعروفة ، فلم يتجاوب ذلك الوسط معه ، ولكنه ارتفع فوق الوسط كما ترتفع المنارة ، فلا تحس بها الأرض التي تحتها ولكنها تشع الى مسافات بعيدة .

وفي بداية الكتاب اهتم المؤلف بالتنبيه الى أن صحـــة اسم شاعرنا هي الشابّيُّ لا الشابِي ، نسبة الى الشابّية إحدى ضواحي مدينة (توزر) كبرى بلاد (الجريد) بالجنوب التونسي . وهذا غير مجهول في الشرق العربي الذي يميل أهله عادة الى تخفيف النطق بالاسماء ـ ولا سيما في مصر ـ ومن ثمة نطقوا اسم شاعرنا المحلق بالباء المخففـة والياء الممدودة ، وجاراهم الخاصة في هـذا النطق ، وان لم

يجهلوا الوضع الأصلي لأسمه (١).

وقد أعجبنا بتحليله للعناصر التي أسهمت في تكييف حياة الشاعر وأغلبها مزيج من الاحزان والحرمان، ويا لها من عناصر أثيمة تألبت على كثيرين من الموهوبين فصهرتهم صهراً وضحت بهم لتغنم نورهم الوهاج المنبعث من احتراقهم.

وبين الخيوط التي حاكها الأستاذ كرو في نسج سيره الشابي بيئة الطبيعة الجميلة التي حفت بالشاعر، ودراسته الواسعة التي انتهت بتخرجه من كلية الحقوق التونسية في سنة ١٩٣٠ م. وهو في الحادية والعشرين، ونكبته بوفاة والده عائل الأسرة، وفشله في زواجه، ومرضه الطويل المؤلم الى أن توفي في الثامن من شهر ايلول (سبتمبر) من سنة ١٩٣٤ م. غير متجاوز خمسة وعشرين عاماً، إذ ولد مع الربيع في آذار من سنة ١٩٠٩ م.

يقول المؤلف الكريم في رسالة أدبية إلينا بتاريخ الخامس من مايو سنة ١٩٥٣ جاءتنا إثر تسلمنا كتابه الممتع: «يسرني أن تتفضلوا بابداء رأيكم ... خصوصاً وان لكم صداقة شخصية قديمة بالفقيد الشابي، ويعود لكم الفضل الاول في تعريف القراء بأدبه منذ عشرين سنة مضت وحتى اليوم، وانتم تكتبون عنه في مناسبات مختلفة دراسات عميقة قوية، ومع ذلك فان أدب الشابي لا يزال بحاجة كبيرة الى البحث والكتابة والدرس. وكم كان مؤسفاً حقاً موقف أهله بعد موته. ورغم مرور ثمانية عشر عاماً على وفاته فانهم لا يزالون مصرين على عدم نشره،

---

(١) ثبت عندي من تجوالي في بلاد العرب الشرقية ان ما ذهبت اليه هو الصحيح، وقد اشرت لذلك في هامش المقدمة. «المؤلف»

لا لسبب سوى عقلية محنطة وافهام متحجرة .

وهكذا لم اجد مناصاً من العمل بكل ما لدي من جهود وامكانيات على خدمة هذا الفقيد المنكوب في حياته وبعد موته . لقد كان أهله سبب موته المادي ، وهاهم اليوم يتآمرون على قتله المعنوي ، فيرفضون في عناد نشر مؤلفاته وديوانه المعد للطبع رغم كل العروض المغرية التي عرضت عليهم . وقد كان الفقيد اعده للطبع واتفق معكم - حسبما أظن - على طبعه في مصر ، ثم عاجله الموت قبل أن يرسل اليكم الديوان بيوم واحد . هذه حقائق لست أدري اذا كان لكم علم سابق بها ام لا . وقد رأيت - كأحد مواطني الشابي - ان انشر عنه كل ما هو عندي من أدبه ومعلومات حياته خدمة له وللأدب العربي الذي يعتز بالشابي . فكان أول عمل قمت به هو نشر كتاب يشمل دراسة طويلة لحياة الفقيد وبيئته ومؤلفاته ثم عرض نماذج مختارة من شعره ونثره لتكون لدى القراء صورة كاملة عنه . ولست أدري مدى نجاحي في عملي هذا ، ولكني أعلم مدى إخلاصي فيه وحبي للشابي . على انني سوف لا أقف عند هذا ، بل أنني سأواصل العمل على إنجاز كتاب ضخم عن الشابي يكون اكبر مرجع لحياته وأدبه . وأنا الآن بصدد إعداد هذا الكتاب الذي يحتاج الى زمن طويل كي ينجز على اكمل وجه مستطاع وانني أرحب سلفاً بكل ملاحظاتكم واقتراحاتكم وتوجيهاتكم ، ويسرني كل السرور أن ألقى منكم كل اهتمام وعناية ومعونة ...

واننا لنبادر فنقول ان العمل المجيد الذي قام به الاستاذ كرّو هو في حد ذاته خدمة جليلة لذكرى الشابي وأدبه ، ونحن على علم بما ذكره ، وقد كانت رغبة

الفقيد العزيز ان نكتب مقدمة دراسية تحليلية لديوانه ، وان تتولى إصداره في مصر (جمعية أيولو) التي كان في طليعة أعضائها المراسلين ، وان وصيته لم تنفذ . لقد تجمعت لدينا رسائل كثيرة من الفقيد العزيز تعد بأسلوبها العالي وبصراحتها الوجدانية من عيون الأدب الفكري والعاطفي معاً ، ولكنها ، مع مئات الرسائل الأدبية من أدباء وشعراء أعلام شرقاً وغرباً . ـ وبينهم شعراء وادباء بارزون في المهاجر ـ قد ضاعت تحت وطأة العهد البائد في مصر قبل هجرتنا وبعدها ، وكنا نؤثر ضياع بقية مكتبتنا المخزونة على ان تنال الايدي المتطاولة المتجسسة ذلك الأدب الحي والتأريخ الأدبي المعاصر الذي سلب منا ، وقد جاء ضياع تلك الرسائل القيمة التي تجمعت لدينا منذ سنة١٩٢٣ الى سنة١٩٤٦ من اقسى المآسي الأدبية المتعددة التي نكبنا بها في حياتنا المضطربة .

اما وهذا المصدر الهام لدراسة نفسية الشابي ليس تحت ايدينا فليس لنا الا ان نشاطر الاستاذ كرو الامل في ان اصدقاء الفقيد العزيز ، وفي مقدمتهم الاديب الموهوب الاستاذ محمد الحليوي ، وشقيق الفقيد الاستاذ محمد الامين الشابي ، سيتمكنون اخيراً من إنقاذ الآثار الباقية للشاعر الفقيد من ايدي اسرته ونشرها للعالم العربي ولعالم المستشرقين ودارسي الادب المقارن،ففي ذلك تشريف للأسرة بالذات وتشريف لابناء الضاد جميعاً .

وبعد ، فقد رأينا الاستاذ كرو يتحدث عن تأثر الشابي بالأدب المهجري ، وعندنا انه لم يتأثر به أي تأثر خاص ، ولو جاء شطر او بيت له في صياغته الكلاسيكية ـ مع اختلاف المعاني ـ مماثلاً لصياغة جبران او سواه ، مثلما تقع

الحافر على الحافر كما يقال ، (١) لقد كانت للشابي ذاكرة فوتوغرافية، وهو الذي أتم حفظ القرآن الشريف في التاسعة من عمره حفظاً كاملاً ، كما كان له اطلاع واسع ـ عن طريق اللغة العربية التي لم يكن يعرف سواها ـ على آداب شتى مترجمة، لا على الأدب العربي وحده ، وكانت له قبل كل هذا وبعده لوذعية اصيلة حلقت فوق كل تقليد وتأثر حتى منذ نعومة أظفاره ، وعلى ذلك لنا ان نعتقد ان ايـــة مشابهة بين شعره وبين بعض الشعراء المهجريين هي من باب المصادفة لا أكثر . ولعل أعظم تجاوب للشابي كان مـــع زملائه شعراء (أيولو) حتى قبل ظهور مدرستها . ونحن شخصياً أولعنا بالشابي لا لعبقريته الفنية فحسب ، بل لانسانيته الرفيعة ولوطنيته السامية ايضـاً ، وكان التجاوب بيننا تاماً مع تميزه هو بأناقة لا نعرف لها نظيراً الا في قصائد الشاعر الفحـــل العظيم بشارة الخوري . مثال ذلك موسيقى الشابي في قصيدته ا لخالدة « صلوات في هيكل الحب » التي يقول في مطلعها :

عذبة أنتِ كالطفولة ، كالأحلام ، كاللحن ، كالصباح الجديد !

فهي متجاوبة مع قصيدة « عرس المأتم » التي كان يعجب بها الشابي (ديوان « زينب ») وقد جاء في مطلعها غير المسبوق الى طرازه :

عذبة أنتِ في الخفاء ، وفي الجهر ، وفي الهجر ، يا أغاني الظلام !
بلغي العاشق الامـين مدى العمر شقاء لقلبه المستهـــام
وارقئي أدمعي ، فحسبي عزاء ان يسر الحبيب من إيلامي !

(١) اعتقد ان ما ذهبت اليه في الكتاب من تأثر الشابي بالادب المهجري هو الصحيح «المؤلف»

ومثال آخر قصيدته العظيمة « إرادة الحياة » فانه متجاوب في مغزاها مع الشطر الاخير من قصيدة « النهضة إرادة » (ديوان الشفق الباكي) ، وقصيدته الجميلة « الصباح الجديد » التي يقول في مطلعها :

أسكتي يا جراح ! واسكتي يا شجون !

فهو متجاوب منها بطراز موسيقاها مع قصيدتين رائدتين هما قصيدة « الوداع » (قطرة من يراع ـ الجزء الثاني) وقد جاء في مطلعها :

إنتهب يا شعاع نبض قلبي الحزين
حان وقت الوداع ليته لا يحين
إنتهب يا شعاع أنا ذاك القريب
إن روحي مشاع في مداك العجيب !

وقصيدة « بعد الصيف » (ديوان « أشعة وظلال ») التي جاء في مطلعها :

إضحكي يا رمال من هدير المياه
غاب ملك الخيال وتجلى سواه
ذاك بحر الدموع من بكاء الزمان
فهو دوماً مروع من مآل الهوان
كل حسن بناه بيديه يزول
ومراراً رثاه وأطال العويل
إضحكي يا رمال من فتوتي العظيم
انا عبد الجمال الضرير الحكيم !

وكان الشابي كما كان ناجي ـ رحمة الله عليهما ـ معجباً بكلتا القصيدتين ، وكلاهما نسج على منوالهما.فاذا اراد الاستاذ كرو التوسع في مبلغ تجاوب الشابي مع شعراء عصره فليتجه الى الشرق قبل اتجاهه الى الغرب .

ومهما يكن من شيء فاننا نؤمن بأن الشابي كان ذا عبقرية فنية أصيلة في منتهى الأناقة كما كان وطنياً عظيم الاخلاص متأهباً للزعامة في بيئته ، وفي هذا يختلف عن ناجي الذي اقتصر جل شعره على وجدانياته الذاتية وغنائياته العاطفية ولم يسهم في الحركة الوطنية .

وكان هذا من اسباب ولوعنا بالشابي الذي يوصف إجمالاً بأنه الفنان المبدع المحلق،والانساني النبيل،والوطني الغيور المضحي.وقد حقق بمثاليته الشريفة تأملنا في ان يكون الشاعر زعيماً هادياً بين بني قومه،ان لم يكن ايضاً زعيماً انسانياً . وفي هذه النزعة والتعبير عنها كان تجاوب الشابي معنا كاملاً وكنا نعمل كجنود في فرقة واحدة.

اما ما نقترحه الى جانب استقصاء التفاصيل للدراسة فهو شرح شعر الشابي ونقده نقداً فنياً مقارناً قصيدة فقصيدة ، فتنتج عن ذلك دائرة معارف أدبية لغوية فنية واسعة يخدم بها الادب الحديث كما تنصف به مواهب شاعرنا الخالد الذكر.

اننا لمشغوفون فخورون بتدريس شعر الشابي وادبه وبالتحدث عن سيرته الزكية ولن نمل ذلك ، ونعتقد ان قراء العربية لن يملوا من قراءة ما كتب وما سيكتب عنه ولو تعددت التراجم والدراسات ، ونعتقد ان كتاب الاستاذ كرو هو من خيرة الدراسات التي قرأناها عن اي شاعر او اديب ، فاليه نكرر التهنئة كما نزجيها الى الناشرين المحسنين .

احمد زكي ابو شادي

الشابي — حياته — شعره [1]

ان الكتاب الذي يقدم به الاديب التونسي ابو القاسم كرو مواطنه الشاعر المعروف « ابو القاسم الشابي » في « اكبر مجموعة من اشعاره نشرت حتى الآن » يسدي خدمة كبيرة للادب العربي ، باعطائه لوحة تكاد تكون كاملة عن شاعرية مخيفة تعد من اروع واطرف واخصب ما عرفه الشعر العربي المعاصر .

وهو الى ذلك ، يقدم الدليل على استمرار الارض المغربية في العطاء الحضاري الرفيع ، وعلى مدى رسوخ البيان العربي والاصالة الفنية في نفوس ابنائها .

ولا يسعنا الا ان نثني على صراحة ابو القاسم كرو الذي حاول ان ينتهز هذه المناسبة ليذكرنا ، في مقدمته الدراسية عن حياة الشابي وآثاره ، بفضل المغربي على الحضارة . واننا لنحتمل منه حتى حرصه على افهامنا انه لا يقدم الشابي الا كنموذج للطاقة الابداعية التي تكمن في نفوس الشعب المغربي ، واننا لنشاركه في تقدير الدلالات التي يرمي اليها بتعداده اسماء المفكرين والفلاسفة والعلماء الاعلام الذين يحفل بهم التاريخ التونسي : وبذكره الايادي العديدة التي اسداها

(١) نشر بمجلة الأديب عدد يناير ١٨٥٣ .

هذا الشعب للفكر الانساني خاصة ببناء الجامعات الشهيرة في شمالي افريقيا ، وصقلية وايطاليا والتي كان لها الدور الاول في حفظ التراث الفكري الاسلامي واليوناني في القرون الوسطى ، وفي نقل هذا التراث من الشرق الى الغرب ومن العالم القديم الى العالم الحديث .

ولكن المؤلف بعد هذه اللمحة الخاطفة ينتقل بمقدمته الى عرض مختلف النواحي الجديرة بالعناية من حياة الشابي وادبه .

وبعد ان يصور لنا طفولته وبيئته العائلية والدراسية الاجتماعية يحاول ان يقودنا الى ينابيع التفكير عند الشابي ويدلنا على المصادر التي كان لهـــا أثر في توجيهه في اوائل حياته الادبية . فيضع أدب المهجريين اللبنانيين وخاصة جبران خليل جبران في طليعة العوامل التي أثرت في أدب الشابي وفي طبعه « بطابـع من التبرم الناعم والثورة الجامحة ، والصوفية الحالمـــة ، وضروب شتى من الوان المثالية المجنحة في الحب والحياة والميول والآمال » .

ولكنه لا يغفل عن ذكر العوامل الاخرى ومنها أثر الادب الغربي المترجم وخاصة أدب المدرسة الرومنطيقية الفرنسية والالمانية التي يتجلى طابعها في تفكير الشابي ، ومنهـا أدب طه حسين الذي اثر في الاسلوب النثري عنـد الشابي ، والادب العربي القديم .

واخيراً يستعرض مؤلفات الشابي . وهي كثيرة متنوعة . فمنها مجموعات شعرية وقصصية ، ومنها دراسات ادبية ومنها مسرحيات ومذكرات . واكثرها لم ينشر بعد ، ويعود للاستاذ كرو الفضل في كشف النقاب عن كثير منها وفي تنبيه

القراء الى وجودها ضائعة بين مخلفات الشابي . وان هـذه المجموعة الكبيرة من المؤلفات عند الشابي ، تدلنا على تعدد جوانب عبقريته وعلى خصب مواهب هذا الفتى الذي مر في سماء الادب العربي كالشهاب تاركاً خلفه من الوهج ودوي الاصداء الحلوة في حياة لم تتجاوز الخمسة وعشرين ربيعاً ، ما تعجز عن مثلـــه حياة كاملة .

وكلما اوغلت في قراءة شعر الشابي وتكشفت لي جوانب جديـــدة من شاعريته التي لم تزدد الا رسوخاً وصقلاً وتبلوراً مع نمو معرفته وتجربته في عمره القصير ، ازداد شعوري بفداحة الفجيعة التي اصيب بها الادب العربي بموت هذا الفتى الفذ وبمدى الامكانيات التي كان مقدراً لها ان تتفتق على يديه .

واذا كان من اليسير تحديد العناصر التي كونت تفكير الشابي واسلوبه ، والتي اظهر المؤلف تعددها وتنوعها ، فان من العسير تحديد شاعريـة الشابي في كنهها وفعاليتها . فهي ككل العبقريات الشعرية ، تقع في هذا المجال السحري ، في هذا العالم المرصود ، والذي لا تعرف له حدود ، هذا العالم القائم على لا اشياء هي النغم المترف والاناقة في اختيـار الايقاع الراهن بـين الوف الممكنات ، وشفافية العتمات والاضواء المبثوثة هنا وهناك بين الحروف والكلمات والصفـاء المترقرق في التأليف والتزويج بين الكلمات والانغام والاصداء والسكينات .

ان هذه الشاعرية تقوم على اشراق الديباجة وغنى الجو الانفعالي المتولد من أداء الافكار والصور والانفعالات بالكلمات وفراغ الكلمات اللازمة اكثر مما تقوم على الافكار والصور والانفعالات نفسها .

ولكن من ضياع الوقت البحث عن مقومات شاعرية الشابي فى اسلوبه وافكاره ، فاننا قد لا نجد فيهما الا رسوبات لقراءته وظلالا لآلهته الابية ، من غوته الى جبران ومن لامرتين الى نيتشه « من خلال جبران » وقد يكون لادب هؤلاء الرومنطيقيين السافرين او المقنعين ، يد كبرى فى طبع شعر الشابى بهذا الطابع الكئيب ، الحائر ، وبهذه النزعة للهرب من الواقع الى دنيا الاحلام والاوهام ، وبكل هذه الاشواق الغامضة وبهذا التشاؤم والتهدم النفسى الذي تنعكس ظلاله فى كل ادبنا الحديث .

ولا عجب فان ادبنا ظل منذ نصف قرن يستقي مادته من معين المدارس المثالية في الادب الغربي وخاصة من المدرسة الرومنطيقية التي كان تأثره بها بالغ القوة .

اولاً : بسبب مناهج التعليم للادب الغربي في بلداننا ، هذه المناهج التي تكاد تقف عند الادباء الرومنطيقيين وتبرز آثارهم وتحببهم الى نفوس ناشئتنا بكل الوسائل .

ثانياً : بسبب تلاقي هذه النزعات الرومنطيقية الهروبية مع ميول نشئنا الذي يغريه واقعه الاجتماعي المؤلم والقائم على الكثير من الكبت والحرمان بالاندفاع نحو مملكة الاحلام التي يرتفع فيها عن هذا الواقع المرهق .

ثالثاً : بسبب موافقة هذه النزعات الرمنطيقية للحالة النفسية عند الشباب الذين هم في سن المراهقة او بعد سن المراهقة مباشرة وهي السن الحاسمة التي يتكون فيها الذوق الادبي عند الانسان ، والتي تستيقظ في كيانه ، اثناءها ، مع

الازمة الجنسية العاصفة فيه ، قوى مبهمة واندفاعات لا محدودة لعمل اشياء خارقة ، قد تتحول،في مسارب متنوعة اما الى الخلق الادبي او الفني،او الى الحركة بالمغامرة والعمل الرياضي،واما الى ظواهر وصور اشد تعقيداً ، منها هذه الكآبة التي لا وجه ولا سبب لها (والتي خلدها بودلير بقصائده تحت اسم Spleen de Paris) وهذا الميل للهرب من الواقع ورتابته من جهة ، ومن جهة اخرى الاشواق والرغبات التي تحفز المراهق الى اجتراح العجائب او الى البحث عن احاسيس ومثيرات نفسية غير مألوفة .

فلا عجب اذن ان يطغى على شعر الشابي ، وهو الذي قال كل شعره في طور الصبا ، والذي عاش في وسط اجتماعي محتبس وفي بيئة عائلية محافظة ، هذا اللون من التشاؤم الرومنطيقي ومن النقمة على نفسه وعلى الكون والمجتمع وهذه النزعة القوية للالتجاء الى الحلم من اذى الواقع .

فاسمع في قصيدته « النبي المجهول » الى هذه النبرات الجريحة من ثورة على الكون ومن رغبة مخيفة في تدمير كل ما يحيط به وتدنيس كل ما يحب ، بسبب شعوره بالعجز عن مواجهة الواقع وعن تحقيق ارادته في ان تكون له قوة خارقة كقوة الخالق :

ايها الشعب ليتني كنت حطابا فاهوي على الجذوع بفأسي
ليتني كنت كالسيول اذا سالت تهد القبور رمساً برمس
ليتني كنت كالرياح فاطوي كل ما يخنق الزهور بنحس
ليت لي قوة الاعاصير انضجت فادعوك للحياة بنبس

وكذلك هذه الابيات من قصيدته « زوبعة في الظلام » :

لو كانت الايـام في قبضتي اذريتها للريح مثل الرمـال
وقلت يـا ريح بها فاذهـبي وبدديها في سحيق الجبـال
بل في فجاج الموت ، في عالم لا يرفض النور به والظلال
لو كان هذا الكون في قبضتي القيته في نـار ، نار الجحيم

اما القصائد التي يعبر فيها عن كآبته وآلامه ويأسه وسأمه فكثيرة . واكثرهـا من منظوماته قبل العشرين (وهذا يؤيد فكرتنا عن أثر العمر في التكوين الرومنطيقي عند الادباء ، وعند الشابي) ونكتفي الآن بايراد عناوينها لنبين مدى عتمة الجـو النفسى الذي تصدر عنه :

« فن الظلام » ، « الزنبقة الذابلة » ، « الدموع » ، « اغنية الاحزان » ، « مأتم القلب » ، « الملل الاليم » ، « حيرة » ، « في ظل وادي الموت » .

واكتفى كنموذج منها بهذه الابيات من قصيدته « ايها الليل » :

كن كما شاءت السماء كئيباً أي شيء يسر نفس الاديب
انفوس تموت، شاخصة بالهول في ظلمة القنوط العصيب
ام قلوب محطمات على ساحل لج الاسى بمـوج الخطوب
انما الناس في الحياة طيور قد رماها القضا بواد رهيب
يعصف الهول في جوانبه السود فيقضى على صدى العندليب

ففى هذه الابيات مع النزعة اليائسة ، اسر فـني وجو طلسمى من القلـق والاحتباس النفسى والاستجابة لنداءات ونذر تتجاوز في عمقها وحرارتها سطحية

الوجدانية الرومنطيقية الباكية،فتذكرنا من بعيد بنبرات الشاعر راينر ماريا ريلكه، وببعض رؤى الوجوديين.

ولكن ليس كل شعر الشابى من النوع الوجدانى . فان في المجموعة قصائد قد لا تصح تسميتها قصائد وطنية او اجتماعية بالمعنى الصحيح ، بسبب غموض ارتكازها الواقعى ، ولكنها ذات قيمة اجتماعية بسبب شمول افكارها وسمو تعاليم القوة والكبرياء والحرية التي تدعو اليها . ومنها قصيدة « يا ابن امى » وقصيدة« الى طغاة العالم » ، واخيراً القصيدة المعروفة « ارادة الحياة » التي اصبحت اليوم على كل شفة ولسان في العالم العربى، والتي تعد بحق من اكمل قصائد الشابى ، بحسن سبكها ، ووحدة جوها ، ولطابع الفرح والعافية والقوة ، الذي تتسم به ، ولمعنى الرجاء الذي تتضمنه فكرة « العودة الدائمة » والحياة المتجددة التي تعبر عنها(وهذه ايضاً فكرة نيتشيه) :

ومن لم يعانقه شوق الحياة تبخر في جوها واندثر
ومن لا يحب صعود الجبال يعش ابد الدهر بين الحفر

ان في جو هذه القصيدة كثيراً من النفس النيتشى ، كما في اكثر قصائد الشابى المشرقة . وقد يكون تسرب اثر نيتشه الى الشابى بصورة غير مباشرة عن طريق جبران او بصورة مباشرة عن طريق التراجم لمؤلفاته .

وقد يكون الامر مجرد صدفة ، فالتقى الشابى مع الفيلسوف الالماني بهذه النبرات القوية والنابضة بالعزمات والتسامي البطولي عندما انحدر الى واقع بلاده، فالهاه تيار الحياة التي تعصف فيها عن مشاكل ذاته وعن الدوران في حلقة عقده النفسية ووجدانيته الفردية.

واخيراً فانني اكتفى بالاشارة الى بعض القصائد التي يغلب عليها الوصف ولكنها لا تخلو من نفس غنائى حلو . واذكر منها القصائد « قلب الشاعر » «الابد الصغير » ، « قال قلبي للاله » ، « زوبعة في الظلام » ، « الجنة الضائعة » ، « النبي المجهول » ، نشيد الجبار » .

وفي ختام هذا الحديث اود ان اصارح الاستاذ ابو القاسم كرو بان فكرته في عرض شعر الشابى عرضاً زمنياً،مبتدئاً بقصائده التي نظمها قبل العشرين،ومكملاً بقصائده ما بعد العشرين لا تخلو من سيئات (١) . فان استهلال المجموعة بقصائد رديئة ، او من النوع التي قد لا يرضى الشاعر عن اثباتها ، لو قيض له ان ينشرها ، يطالع القارىء بجو ليس في صالح الشاعر ، وقد يثبط عزائمه في المضى الى موارد الشعر الحقيقى في المرحلة الثانية من حياة الشابى ومن جهة اخرى فانني كنت احب للاستاذ كرو ان يقلل من تكرار المعانى الواحدة في صيغ مختلفة ومن الاسترسال مع الوجدانية الملتهبة في الحديث عن الشابى بصورة تبعده في بعض الاحيان عن تحفظ البحث العلمى وتجرده .

ولكن ذلك لا يمنعني من تجديد شكري للاستاذ كرو على الخدمة التي اسداها للعربية بتقديم شعر الشابى،هذا الشاعر الذي سحقت الايام قلبه الطفل،وحصدت الاقدار عمره قبل ان يستنفد كل ما يختزن من ماوية وحيوية ، وقبل ان تتألق ثماره بالارج الذي كان يضج في جذوره والذي اسكرنا بالقليل الذي نم منه .

---

(١) اختلف مع حضرة الناقد في هذا ، فان التقسيم الذي جعلته قد استفاد منه هو نفسه في كتابة هذا المقال وذلك واضح لكل قارىء متنبه ، انظر ص ٣١ . « المؤلف »

وأي قلب لا يدمى عند سماع هذه الابيات الزاخرة بالالم وبمرارة الخيبة :

في جبال الهموم أنبت أغصانى فرفت على الصخور بجهد
وتغشانى الضباب فاورقت وأزهرت للعواصف وحدي
وبمجد الحياة والشوق غنيت فلم تفهم الأعاصير قصدي
ورمت للوهاد افنانى الخضر وظلت في الثلج تحفر لحدي
ومضت بالشذى فقلت لنفسى ستغشى الرياح بالعطر مجدي
وتغزلت بالربيع وبالفجر وجاء الردى فما تم بعدي

علي سعد

رسالة خاصة من :

مخائيل نعيمة

« بعث المؤلف بنسخة من كتابيه « الشابي » « وكفاح وحب » الى الاستاذ مخائيل نعيمة ، فرد عليه بالرسالة التالية :

بسكنتا ـ لبنان

١٠ اذار ١٩٥٣

عزيزي الاستاذ ابو القاسم كرّو

سلام عليك وبعد فقد تناولت النسخة التي تلطفت باهدائها الي من كتابك « كفاح وحب » والنسخة من مؤلفك في حياة المرحوم ابي القاسم الشابي وشعره. فالشكر لك . وفي الكتابين تباشير نهضة ادبية مباركة في المغرب العربي . وانك لعلى حق في قولك ان تلك النهضة تكاد تكون مجهولة تماماً في سائر الاقطار العربية من مصر حتى الخليج الفارسي .

وجدتك في « كفاح وحب » متأثراً بأسلوب جبران الى حد بعيد . وعلى الاخص في مقالك « ذكرى مولدي » فقد قرأته وكأني اقرأ صدى لمقال جبران « يوم مولدي » ولا لوم عليك ما دمت في محاكاتك لجبران تستمد من قلبك وخيالك

لا من قلبه وخياله . فتماشيه من غير ان تضيع فيه . واما كتابك عن الشابي فهو في نظري خدمة جليلة للأدب العربي وللمكتبة العربية . فهذا الشاعر الفذ الذي طوت المنون صحيفة عمره وهو ما يزال في ريّق الشباب جدير بأن يعرف العرب في كل اقطارهم اين نبت وكيف عاش وعماذا تفتقت قريحته الجياشة بالثورة على الظلم والبشاعة ، والتواقة الى العدل والحرية والجمال . فليس يكفينا ان نعرف انه القائل :

اذا الشعب يوماً اراد الحياة فلا بد ان يستجيب القدر

ولا ابالغ اذا قلت ان اكثر الذين سمعوا بالشابي لا يكادون يذكرونه الى بتلك القصيدة ـ « ارادة الحياة » واذن فكتابك عنه قد جاء في وقته . بارك الله فيك .

المخلص

ميخائيل نعيمة

الحياة الثقافية

لمحات من الماضي ..

للقطر التونسي حركة علميـة وادبية متتالية الانتاج ، عريقة في التاريخ لا سيما منذ الفتح العربي حتى يومنا الماثل. ولو ان احداً استعرض التاريخ التونسي ـ قبل الاسلام وبعده ـ لوجد ان البلاد التونسية كانت منذ عشرات القرون موطناً لحضارات عديدة نشأت فوق ارضها وبجهود ابنائها، او جاءت عن طريق المهاجرين والزاحفين . وفي طليعة هذه الحضارات حضارة قرطاجنة التي دامت سبعة قرون كاملة، تسيطر على حوض البحر الابيض المتوسط وتنافس روما على تجارته، وكادت تقضي عـلى روما نفسها في زحف « هانيبال » القائد القرطاجني الشهير . وتجيء بعد ذلك حضارات اخرى اهمها الحضارة العربية التي بدأت في منتصف القرن الاول الهجري ، حين وضع القائد العربي عقبة بن نافع الأسس الاولى بتشييده مدينة القيروان ، التي تشهد آثارها اليوم بعظمة الفن العربي وقوة الحضارة العربية وروعتها . ومنذ قامت مدينة القيروان ، اي منذ ثلاثة عشر قرناً ، والحضارة العربية تزخر ينابيعها على جوانب الحياة التونسية في شتى ميادينها ومظاهرها . ولو اتيـح لبعضكم ـ ايها القراء الاعزاء ـ ان يزور البلاد التونسية ، لشاهد بنفسه مظاهر

العمران والفن العربي الاصيل،في طراز المباني والملابس ، وفي النواحي الاخرى من الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفنية ...

ولست بحاجة بعد ، لأن استعوض لكم تاريخ الأدب والثقافة العربية في تونس ، اذ يكفي ان اذكركم باعلام تونسيين ملأت شهرتهم الآفاق ولا تزال مؤلفاتهم غذاءاً شهياً للفكر البشري .

ان في طليعة هؤلاء ولي الدين ابن خلدون وهو في غنى عن التعريف ، ثم جمال الدين ابن منظور صاحب لسان العرب ، اكبر موسوعة في اللغة العربية ، فضلاً عن مؤلفاته العديدة الاخرى . وابو العباس احمد بن يوسف التفاشي العالم الرياضي الكبير ، والشاعر الكئيب المبدع القائل :

لا اظلم الليل الطويل واشتكي منه ، ومالي في الصباح رجاءُ
من كان يطمع في الصباحة براحة ويسره إن لاح منه ضياءُ
فجواي متصل الظلام بضوئه الليل عندي والنهار سواءُ

(ثم الحصري القيرواني صاحب زهر الآداب الذي نشره وعلق عليه الدكتور زكي مبارك . وابن ظفر الصقلي هو اول من الف في ادب الاطفال . وابن رشيق صاحب العمدة ، الكتاب الادبي الشهير . وحازم القرطاجني هو اول من اتخذ من فن الجمال الادبي والمناهج الادبية علماً خاصاً قائماً بذاته . وابن حمديس الذي علم الايطاليين القافية والزجل ، والشعر الغنائي والوصفي . وابن الجزار من الاطباء العالميين المعتمدين في المذهب والتدريس باوروبا من القرن العاشر الى القرن السابع عشر ميلادياً . وعلي بن ابي الرجال هو من اساطين الفلك في

العصر الوسيط ، وقد كانت كتبه معتمد كوبرنيكس محيي علم الفلك الحديث. اما اما محمد بن سحنون وابو الحسن القابسي وابن خلدون فهم اول من وضع علم التدريس وخصه بالتأليف ، وقد اقتبست تآليفهم في علمي التدريس والتربية الحديثين . اما الملك المعز ابن باديس فهو اول من ألف في فن الخطوط وانواعها . وصناعة الرق والورق والتجليد.اما ابن الصلت المهدوي وابراهيم الرقيق القيرواني فهما من عظماء المؤلفين في فن الموسيقى في تاريخ الثقافة العربية) (١) .

هؤلاء جميعاً هم قلة يسيرة من اعلام الثقافة والادب العربي في تونس الذين بنوا مجد العروبة فيها ، وشادوا حضارة العرب على ارضها ، ونشروها في ارجاء من العالم . وحسبكم ان تعلموا ان معالي الاستاذ حسن حسني عبدالوهاب عضو تونس في المجمع اللغوي بالقاهرة قد ألف كتاباً ضمنه ترجمة الف ومائتين من العلماء والادباء الافارقة ، وتحقيق اثني عشر الفاً من مؤلفاتهم (٢) .

اما اثر التونسيين في تأسيس الجامعات ، فان اعظم الجامعات الاسلامية في العالم الاسلامي اليوم هي من تأسيسهم . فالجامعة الزيتونية بتونس بناها عبدالله بن الحبحاب سنة ١١٤ هـ . وجامعة القرويين بفاس بنتها الاميرة فاطمة ام البنين سنة ٢٥٥ هـ . والجامعة الازهرية في القاهرة بناها المعز لدين الله الفاطمي سنة ٣٦٥ هـ.وليس هذا فحسب فان عرب تونس قد ضربوا بسهم في تأسيس الجامعات

---

(١) مقتبس بتصرف عن مجلة المباحث التونسية من مقال « في الثقافة التونسية » ع ٢٩ — ٣٠ بقلم الاستاذ عثمان الكعاك امين القسم العربي من دار الكتب التونسية .

(٢) لا يزال هذا الكتاب مخطوطاً عند مؤلفه . واسمه « صدور الافارقة » وقد نشر منه مؤلفه عدة فصول في مجلة « الثريا » التونسية .

العلمية باوروبا ، وذلك فضلاً عن جامعة « دار الحكمة » بالقيروان . اما جامعاتهم باوروبا فهي : جامعة بالرمو ، التي اسسها بنو الحسين حكام صقلية التونسيين ، وجامعة كاسينو التي كان يدرس بها اساتذة تونسيون ، وبكتب تونسية وكان بعض الاساتذة التونسيين بها ينقلون الى اللاتينية امهات الكتب العربية في كافة العلوم . فاذا علمنا ان النهضة العلمية الاوروبية الحديثة ، قد انبثقت من جنوب ايطاليا ، علمنا الى اي حد كانت عظيمة ورائعة تلك الخدمات التي اسداها التونسيون الى الذهن البشري والثقافة العالمية .

النهضة الحاضرة ..

إن الجذور الاولى للنهضة الثقافية الماثلة اليوم في تونس ، تعود الى الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، حين قام المصلح التونسي الكبير الوزير خيرالدين باشا ، بوضع اسس ثابتة لنهضة علمية واجتماعية شاملة ، اثمرت في عهده ولاتزال تعطي احسن الثمرات واشهاها ، وقد بدأ خير الدين سلسلة اعماله الاصلاحية بايجاد معهد الصادقية للعلوم واللغات الاجنبية وقد تخرج في هذا المعهد عدد هائل من رجالات الفكر والعلم ، ولا يزال حتى اليوم يقدم في كل جيل رجالاً من خيرة الادباء والعلماء،والى جانب هذا المعهد وضع قانوناً لاصلاح التعليم وتنظيمه بالجامعة الزيتونية ، التي يعود اليها الفضل الاول في نمو الأدب واللغة العربية في عهودها المتأخرة . كما ارسل البعوث العلمية لفرنسا وايطاليا ، وما لبثت هذه البعوث ان عادت الى بلادها فساهمت في بناء صرح النهضة الحديثة مساهمة

فعالة . الى آخر ما قام به هذا الوزير المصلـــح من اعمال جليلة باهرة في كافة الميادين الاخرى .

وفي ١٢ مايس ١٨٨١ نكبت البلاد بالاستعمار الفرنسي البغيض ، ولا تزال تعاني ظلمه وعدوانه رغم مرور سبعين عاماً على احتلاله البـــلاد . وقد سلك الاستعمار في هذه المدة كلها سياسة اجرامية للقضاء على هذه النهضة في مهدها ، محاولاً ابقاء الشعب في حالة من الجهالة والتأخر تفسح امامه المجال للاستغلال الاقتصادي القذر ، وتحقيق مطامعه الشريرة الاخرى . وهنا بدأ لون جديد من كفاح الشعب التونسي ، اذ شمل نضاله ضد الاستعمار ميدان التعليم والثقافة العامة ، فلم يتراجع عن نهضته التي بدأها بل مضى يشق طريقه في سبيل تنميتها وازدهارها والمحافظة عليها . وقد استطاع ان يتغلب بنضاله على سياسة الاستعمار ضد ثقافته وكيانه الفكري ، فاكثر النوادي والجمعيات المختلفة ، واسس المعاهد العلمية والمدارس الوطنية الحرة ، وانشأ المكتبات الشعبية العامة ، وبذلك لم تتوقف نهضته عن النمو والازدهار . وصحيح ان هذا الكفاح كان بطيء السير في ذاته ، وكان الاستعمار يقف في وجه هذا السير البطيء كالمارد الجبار . لا يسمح بشيء ، ولا يتيح لاحد فرص العمل والبناء لخير الشعب وتقدمه ، ولكن الشعب التونسي كان لا يعرف الرجوع الى الوراء فلم يستسلم لكل ما وضعه الاستعمار في طريقه من عقبات وسدود . وهذا ما أتاح لتونس في نهاية الربع الاول من القرن الحالي ان تنبثق فيها حركات قوية كاسحة ، تهدف في شتى ميادينها الى تحقيق نهضـــة جبارة واعية . تقوم على اسس راسخة من العلم والتنظيم والتضحية والفداء . وقد

حمل لواء هذه النهضة ، وتقلد اعباءها عن جدارة وايمان ، نفر قليل من الشباب المثقف الواعي،الذي ادرك بمرارة مدى الهوة السحيقة التي تردى فيها شعبه ، فاخذ على عاتقه انقاذ هذا الشعب من كل محنه وجميع اوصابه .

وتقدمت هذه الطليعة الواعيـــة من الشباب المخلص المستنير ، الى ميادين الكفاح ، واخذت تعلن عن آرائهـــا الجديدة في جرأة نادرة وحماس شديد ، مبشرة بان ذلك منها مقدمـة لكفاح شاق عنيف . وسرعان ما التفت حولها جماعة قليلة اخرى من الشبـاب المتحفز الطموح . وسرعان ما اصطدمت هـذه الطلائع المتوثبة بقوتين خطيرتين هما : الاستعمار الفرنسي الغاشم والحركات الرجعية الخادرة ، الـتي كانت سادرة في احلامها ومتعها الرخيصة عـلى حساب الشعب الجاهل المنكود .

ولم يكن من اليسير الهين التغلب على واحدة منهما ، فكيف بهما متكاتفتين متحفزتين للقضاء على كل من يفتح شفتيه بغير التسبيح والتمجيد ، او يفتح عينيه لرؤية النور ومشاهدة الحق في جلاله وبهائه .

ولكن الذي يسجل باعجاب واكبار ، هو ان هذه الطلائع قد صمدت صمود الجبال وكافحت كفاح الابطال ، واستطاعت خلال الربع الثاني من هذا القرن ان تكتسح امامها كلتا القوتـين الغاشمتين ـ الرجعية والاستعمار ـ وهي اليوم تتحفز للاجهاز على ما تبقى لهما من فلـــول مبعثرة وانفاس تنتفض انتفاضة الموت الاخيرة .

وبديهي ان هذا الكفاح الشاق العنيف لم يكن ليحالفـــه النصر ويلازمه

النجاح دونما ضحايا غالية وخسائر باهضة في عدده وعتاده ، وفي قادته وانصاره .

وها نحن نرى الحياة اليوم تتدفق ينابيعها الفوارة ، زاخرة كالدماء الملتهبة في اعصاب الشعب العربي بتونس ، وذلك بفضل تلك التضحيات الجسيمة والكفاح الشاق اللذين تكبدهما جند الطليعة ـ وحدهم ـ خلال ربع قرن من الزمن .

وهذا ابو القاسم الشابي احد هؤلاء المكافحين الابطال ، بل نموذج رفيع منهم ، نقدمه اليوم للقراء في الشرق العربي ، كأسمى ما وصلت اليه حركة الانبعاث الفكري ، والتجديد الادبي في تونس . وكأروع شاعر ناوأته البيئة ، وصادمه المجتمع ، وناهضته العقول المحنطة والافهام المتحجرة فكان نصره عليها باهراً وثباته امامها قوياً ، رغم كثرة عديدها وقرة باطلها .

والشابي بعد ذلك كله ، صورة حية شاملة لحياة الشعب التونسي في هذه المرحلة القلقة التي بهرته فيها اضواء الحياة الجديدة ، فملأت قلبه بالاشواق والرغبات ، وايقظت في نفسه عوامل الطموح الوثاب ، والكفاح العنيف ، فكانت نفس الشابي خير معبر عن آلامه وآماله ، واصدق رجاع لثورته وانتفاضه ، في ادبها القوي الرفيع ، وتصويرها الصادق الامين .

والحديث عن ذلك الأدب وهذه النفس ، حديث عن تلك البيئة الراكدة وذلك المجتمع العنيد ، وعن هذه الثورة الجارفة . والانتفاض العارم الفتى . بما

في الجميع من قلق وحيرة او خوف وجمود ، ومن تـــبرم وسخط او جموح واندفاع ، صوب حياة حرة سعيدة : وادب خالد فتي .

وهذا ما نحاول عرضه وتحليله في الفصول القادمة ، لنتبين منه كافة العوامل التي ابدعت شاعريـة الشابي وصهرت نبوغه ، وارتفعت به الى اعـلى مراتب الخلود .

حياة الشاعر

ان حياة الشابي حياة مليئة بالشقاء والالم ، عامرة بالاحزان والاتراح ، طافحة بالحرمان والتعاسة مغمورة بالكآبة والاسى . ولسنا نعرف شاعراً في مثل بيئة الشابي واجوائه تجمعت عليه مثل هذه من ضروب العذاب وألوان الشقاء ، ففجرت فؤاده بالاغاني ، وألهبت قلبه بالحب ، وقادته الى حياة صوفية سامية ، تميزت بتبرمه العنيف ، وثورته الجارفة . وليس من شك في ان للبيئة اثراً كبيراً واضحاً في حياة الشعراء وآثارهم ، وان للمحن والاحداث التي تغمر حياتهم وتحيط بهم ، عملاً هائلاً شديداً في طبعهم بطابع خاص . واننا حين نعرض لحياة الشابي ، وحياة الشعب التونسي في الفترة التي قضاها الشاعر على مسرح الوجود ، ندرك مصادر الشقاء في نفسه ، ومنابع الألم والجراح من فؤاده ، ومبعث الكآبة والحزن من قلبه ، وأفق الظلام والتشاؤم في وجدانه .

مولده

في شهر آذار (مارس) من سنة ١٩٠٩ ولد المرحوم ابو القاسم الشابي ببلدة « الشابّية » احدى ضواحي مدينة « توزر » كبرى بلاد « الجريد »

بالجنوب التونسي . وهي بلاد جميلة فاتنة ، لما حوته من مناظر طبيعية رائعة . فهي واقعة بين بساتين البرتقال ، ووسط واحات شاسعة من شجر النخيل ، ومن حواليها عيون ذات ماء زاخر عذب . والى الجنوب الغربي من ذلك تمتد الصحراء ذات الرمال الذهبية الحمراء . ومن الجنوب الشرقي فالغربي يبدو شط الجريد بمائه الهادىء العميق ، فيتراءى للناظر كبحيرة حالمة بآمال الاجيال واحداث السنين . في هذه المنطقة من الارض التونسية الساحرة ، والتي كان لها « بجمالها وفتنتها » اثر بعيد المدى في شاعرية ابي القاسم ، والتي حدثنا عنها الشاعر بشوق بالغ وحنين فياض في قصيدته « الجنة الضائعة » ، في هاته المنطقة نشأ الشابي وترعرع . ولئن انتقل مع والده بعد ذلك ، الى مدينتي « قفصة » و « زغوان » ، كان ابوه فيهما رئيساً لمحكمتيهما الشرعيتين ، فان آثارها بقيت حية في نفسه ، يتغنى بها في اشعاره وقصائده .

دراسته

بدأ ابوه في تعليمه بادخاله احدى المدارس التقليدية « الكتاتيب » وهو في الخامسة من عمره . وكان ابوه يحرص بشدة على تحفيظه القرآن . ومن يدري ، فلعله كان يأمل ان يصبح ابنه من رجال الدين . ولقد حقق الشابي حرص والده فما ان بلغ التاسعة من عمره حتى كان قد أتم حفظ القرآن بكامله حفظاً تاماً . فدل هذا عن نبوغ كامن وعبقرية توشك ان تبهر الورى بأضوائها . ثم اخذ والده يعلمه بنفسه اصول العربية ومبادىء العلوم الاخرى ، حتى بلغ الحادية عشر .

وفي خلال هاتين السنتين ، طالـع شاعرنا شيئاً ليس باليسير من الكتب الدينية والصوفية والفلسفية القديمة المملوءة بها مكتبة والده ، وهي اهم ما تحتويه مكتبة رجل متدين صوفي .

وفي سنة ١٩٢١ ، وهو بعد في بداية الثانية عشرة من عمره ، ارسله والده الى العاصمة التونسية ، حيث تم التحاقه بالكلية الزيتونية . واستمر يدرس بها العلوم الدينية واللغوية حتى تخرج فيها سنة ١٩٢٧. نائلاً شهادة « التطويع » ، وهي ارفع شهاداتها الممنوحة في ذلك الحين .

والتحاق الشابي بالزيتونـة وفي العاصمة ، كان نقطة تحول هامة في حياته . وليس ذلك لأن تعليم الزيتونة يومئـذ ، كان تعليماً عصرياً بأتم معنى الكلمة ، وانما لهـذا الجو الجديد من الحياة الذي انتقل اليه الشابي ، فوجد فيه كثيراً من الحرية ، وكثيراً من الانطلاق ، وكثيراً من النشاط الادبي ، ما كان قبل متمتعاً بشيء منهـا . وبذلك تحرر من كل قيد كان يرزح به ، وكل رقابة كانت تسيطر عليه . فمضى يستغل ذلك الى ابعد حدوده الممكنة . فانهال اول الامر على كتب المهجريين (كجبران ، ونعيمه ، وابي ماضي) يطالعها بشوق بالغ وادمان شديد . وقد ميزته هذه البذور بطابع « المدرسة المهجرية » التي تمتاز بصوفيتها الشعرية ، ونقدها اللاذع ، وحدبها عـلى الانسانية المعذبة ، وسخريتها المرة بالحياة الراكدة والبشرية المتحجرة . وكل هذا نلمسه واضحاً في آثاره الاولى من شعر ونثر . ثم اخذ بعد ذلك يطالـــع كل ما وسعه الوقت لمطالعته ، او وقعت عليه عيناه ، من كتب قديمة هامة او حديثة مشوقة . فمن القديمة طالع عدداً هائلاً من الكتب

المسماة بامهات الادب ، كالأغـاني ، وصبح الاعشى ، ونفح الطيب ، والكامل ، والأمالي ، والعمدة ، والمثل السائر ، وكتاب الصناعتين وغيرهـــا . ومن المعاجم امهاتها ، كلسان العرب والقاموس ... اما الدواوين فقد طالع جميع ما طبع من قديمها وحديثها . ولجهل الشابي باللغات الاجنبية . فقد قرأ اهم ما ترجم من كتب الآداب الغربية ، حتى استوعب تاريخهـــا وفنونها وجميع اطوارها ، وكان يعيد باستمرار قراءة كتب « لا مارتـين » و « جوته » ، ويعجب بهما اعجابه بالمعري وابن الفارض . والى جانب ذلك كله كان يتـابع قراءة جميع المجلات العربية الصادرة في ذلك الحين،كالهلال والمقتطف والسياسة الاسبوعية والبلاغ وغيرها ...

وعلى اثر تخرجه من الزيتونة التحق بكلية الحقوق التونسية ، فتخرج منهـا سنة ١٩٣٠ . وخلال السنوات الثلاث الاخيرة من دراسته ، بذل الشابي نشاطاً ادبياً واجتماعياً كبيراً . فقاد حركة طلاب الزيتونة التي كانت تهدف الى اصلاح مناهج التعليم والادارة في الكلية . وتزعم اضرابهم عن الدروس وترأس لجنتهم وسير اعمالها بوطنيـة اعجب بها الجميع . ويعود له فضل كبير في تأسيس جمعية « الشبان المسلمين » التي هي اليوم من الجمعيات التونسية الكبيرة ذات المشاريع الثقافيـة والاجتماعية النافعة . كما ساهم في تأسيس « النادي الادبي » بتونس ـ العاصمة ـ و « نادي الطـــلاب » بـ « توزر » وكان من ابرز اعضائهما حيوية ونشاطاً .

موت والده

ولكن هذا النشاط ـ ويا للاسف ـ لم يدم طويلاً . فقد عكرت صفو حياته

الاحداث والنكبات . وكان في طليعتهـــا موت والده في الثامن من شهر ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٢٩ . وبموت والده تغيرت حياته تغيراً تاماً ، وأحدث ذلك في نفسه صدمة عنيفة هائلة ، طفحت بها قصائده في ألم حاد ويأس مر . ولم لايكون ذلك ، وقد كان لايعرف من شواغل الحياة ومتاعب العيش شيئاً يستحق الذكر ؟! فقد كان ابوه يقوم نحوه بكل حاجاته ، ويوفر عليه راحته ورفاهيته وهناءه . فاذا بذلك كله ينهار مرة واحدة ، واذا هو مسؤول عن كل ما خلفه والده في الحياة ، من ام ثكلى ، وأبناء صغار الى املاك مبعثرة هنا وهناك ، وفوق ذلك تبعـــات لا تحد امام ضميره وامام القانون .

مرضه

هذه المتاعب الجمة والمسؤوليات العريضة التي نزلت عليه في غير حينهـا لم يكن ليتصورها من قبـل . ولعله كان يحسب ان حياتـه الشعرية المثالية سوف تستمر معه طويلاً ، فاذا بهـــا تتحول فجأة الى ألم جارف ويأس عنيف وشقاء لا يطاق . واذا بنا نرى بعد ذلك بقليل ، ان هذا الالم الجارف . واليأس العنيف ، وتلك الاتعاب والمسؤوليات ، ما لبثت ان فعلت في جسمه النحيف فعلها الخبيث ، فأصيب بـداء تضخم القلب الذي عانى منه أشـد انواع المرارة وأقسى ضروب العذاب . وعرض نفسه على كل طبيب اخصائي بتونس فكانوا جميعاً متفقين على امرين اثنين مع علاج بالادوية مستديم :

اولهما : ان يكف عن ارهاق نفسه بالكتابة والقراءة .

وثانيهما : ان يعيش في المناطق الجبلية والطبيعية حيث الغابات والبساتين والوديان والانهار .

فمضى الشاعر يجوب صيفـــاً وشتاء مناطق تونس الطبيعية الجميلة ذات المصائف الفاتنـة والمشاتي الرائعة . فمن بلاد « الجريـد » الى « زغوان » ومن « عين دراهم » الى « المشروحة » . وقـد عاش شاعرنا ثلاث سنوات وحيداً بـين اشجارها وانهارها . يتغنى مع الاطيار بحبـه ويناجي النجوم بأمانيه ، ويحنو على الورود والازهار ، ويطرب لخرير الميـاه ، وحفيف الاغصان . وفي هـذه الفترة اخرج الشابي اجمل قصائده الخالدة في وصف الطبيعة والجمال ، وسحر الوجود وحب الحياة .

وفاته

ثم استمر يرهق نفسه بما نهاه الاطباء عنه ، فاشتد به الداء وآلمه كثيراً ، ونال منه العذاب والشقاء اكثر من اي وقت مضى . فثار على الحياة ومل وجوده فيها ، وامطر البشرية بسيل جارف من تبرمه وسخطه واخذ يناشد الموت ان يريحه من حياة ملؤها الشقاء والعذاب ، والأسى والألم فطلع علينا بقصائده : « في ظل وادي الموت » و « زوبعة في الظلام » و « الجنة الضائعة » و « قال قلبي للاله » و « انـا ابكيك » و « الاشواق التائهة » و « السعادة » و « اغاني التائه » و « ابناء الشيطان » . وكان من قبل عاكفاً يتلو الـ « صلوت في هيكل الحب » ويعزف : « اغاني الرعاة » ، و « ارادة الحياة » و « تحت الغصون » ، و « الايمان بالحياة » ، و « قلب الأم »

و « الساحرة » و « اراكِ » و « فكرة الفنان » .

تلك القصائد جميعاً وبكثير غيرها تغنى الشابي ، وفيها سكب عصارة روحه ومعين حياته . وعلى اوتار قلبه المكلوم عزف للانسانية اعذب الألحان وامرها .

والآن !! ها هي جميعاً لا تجديه شيئاً ولا ترد عنه حكم القضاء النافذ ولا يد القدر العاتي . لقد اشتد معه الداء وقوي المرض ، فاستفحلت العلة واضطر لملازمة الفراش . ثم نقل الى المستشفى الايطالي بالعاصمة ، حيث سكب الحانه الاخيرة قبل ان يستريح من « عالم الآثام والبغضاء » و « يذوب في فجر الجمال السرمدي » . فقرأنا : « نشيد الجبار » و « الحاني السكرى » و « الصباح الجديد » و « النبي المجهول » . . . وهناك قصائد غير هذه لم تنشر ولم تعرف بعد . ثم وجم الناي وغام الفضاء ، وذابت انفاس الشاعر الأخيرة آهات في ارجاء الكون . فقيل تحطمت قيثارة الانسانية ، وتلاشت انغام الحب والجمال ، والحان السحر والخيال . وصعدت روح الشاعر الى عالم الجمال المطلق ودنيا البقاء والخلود .

كان ذلك القول في فجر يوم الثلاثاء التاسع من تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٤٣ . ثم نقل جثمانه الى مسقط رأسه بلدة « الشابية » مشيعاً بالزفرات والدموع . ولم يكن عند موته قد بلغ السادسة والعشرين عاماً .

وبموته خسرت الآداب العربية المعاصرة ، اعظم خسارة اصيبت بها في تاريخها الحديث ، ونهضتها الماثلة .

ضريحه

وقد نقل جثمان الشابي الى مسقط رأسه ، بعد موته بيوم واحد , ودفن ببلدة

« الشابية » في مقبرة اسلافه . ونظراً لقرب الصحراء من بلاد الجريد فقد كادت الرمال الزاحفة ان تمحو قبره وان تجعله اثراً بعد عين . ولقد زاره كثير من الأدباء ، فهالهم ان يندثر قبر الشابي وان يضيع بين القبور ولما تمض على وفاته عشر سنوات . فكتب بعضهم في الصحف والمجلات مستثيراً همم الشعراء والأدباء من زملاء الفقيد واصدقائه ، ولكن دون جدوى .

واخيراً تحركت هممهم بفضل المساعى الطيبة التي بذلها الأديب الاستاذ محمد بن محمود . فجمع الادباء التونسيون امرهم وألفوا لجنة اقامت على قبر الشابى بناء فخماً لائقاً . وقد شمل البناء وضع صندوق من المرمر على قبر الشاعر ، ارتفع به القبر عن سطح الارض مسافة ذراع ونصف كما اقيمت حول القبر روضة صغيرة فيحاء ، يحيط بها سياج من حديد وبذلك اصبح منظر القبر ومظهره رائعاً اخاذاً ، يثير المشاعر ، ويغرق الزائرين في لجج من الذكريات والرحمات .

وقد احتفل الأدباء والشعراء حول ضريح الشابي بهذه المناسبة في يوم الجمعة ١٧ / ٥ / ١٩٤٦ وتسابقوا الى تمجيد مآثره ومزاياه ، والى تقدير شاعريته ونبوغه . فكان اجتماعهم حول قبره ، والتفافهم داخل روضته ، واجلالهم لأدبه وعبقريته ، بمثابة احيائهم لذكراه التي لن تموت ، واعلانهم عن شعورهم نحوه وعرفانهم له بما اسداه - على قصر حياته - للأدب العربي الحديث ولشعبه البائس المنكوب ، من خدمات وجهود ، سوف تعرف قيمها الرفيعة الغالية يوم يكشف عنها الغطاء ، وتنشر على الناس . فيعلم حينئذ ان الشابي كان لحناً فريداً لم يتم ، ومنحة من من السماء لابناء الارض ، واغنية عاصفة ثائرة . ستظل الحياة ترددها على مسامع البشرية جيلاً بعد جيل .

البيئة الاجتماعية

نشأ الشابي وشب في بيئة تحيط بها سجوف العماية والضـــلال من كل جانب ، وتسيطر على حياتها ومقدراتها ، عناصر بغيضة الى كل نفس ، كريهة لدى كل انسان يشعر بحقيقة نفسه ، وبحقيقة الحياة الطيبة السعيدة .

والمجتمع التونسي في الفـــترة القصيرة التي قضاها شاعرنا في محيطه ، كان مجتمعاً مريضاً في جسده وروحه ، بالياً في تفكيره ، وآرائه ، مستسلماً لأوضاعه الفاسدة (استسلام العناصر غـــير العاقلة الى مشيئة الايام والليالي ...!) . كما يقول جبران .

وليس من اليسير على شاعر كالشابي ، وقّاد الفكر ، مشبوب الخيال ، دقيق الحس والشعور ، ان يرضى عن هـــذا المجتمع ، وان يطمئن لنوع الحياة التي يعيشها ، او لاصناف الظلم التي يعانيها والآلام التي يكابدها .

وما من احد وعى ذهنه شيئاً من مفاهيم الكرامة البشرية ، والعدل الانساني ، يستطيع ان يخلد الى الاطمئنان والراحـة ، في مجتمع تضافرت عليه قوى الشر وتجمعت حوله كل عوامل الابادة والافنـــاء . فالاستعمار الفرنسي البغيض ، يمتص رحيق الحياة من كيانه العام ، ويستغل امكانياته في شتى الميادين ، ويستأثر

دونه بكل ثرواته وجهوده ، ويسلبه خيرات البلاد وثمارها . ويحول بينه وبين العمل على الاخذ باسباب الحياة الصاعدة ، ويعوقه في عناد وعنف عن كل نهوض يهم به ، وكل حركة يهدف منها الى الانطلاق من اغلاله والافلات من اسره . وليس ذلك فحسب ، بل عمل الاستعمار - ولا يزال يعمل - جاهداً على تنمية جراثيم الفقر والمرض والجهل ، بما يفرضه من ارهاق ، ويسنه من شرائع ظالمة عاتية ، وما يقيمه من عراقيل في سبيل العاملين المخلصين ، من ابناء الوطن .

وليس الاستعمار وحده العامل على محاربة الجهود المخلصة النزيهة ، الرامية الى تحرير الشعب التونسي من عبوديته وفقره ، ومن مرضه وجهله . بل كانت تساعده وتأتمر بأمره ، عناصر رجعية خائرة ، تثير في الشعب روح العصبية الدينية المزيفة ، حين لا تجد سلاحاً للمقاتلة إلا هذا السلاح ، وتنعدم امامها الوسائل الا هذه الوسيلة . وهي تعمل جاهدة لتبقى على مكانتها وحظوتها لدى الشعب ، عن طريق الاحتفاظ بواقعه الفاسد المرير ، بما فيه من ضلال وجهل ، وبما يرزح تحته من اعباء الماضي السيئة . وبما يعانيه من عدوان الاستعمار وظلمه .

وكذلك كان الشعب نائماً في شقائه ، مستسلماً للتعاسة والبؤس ، مؤمناً بصدق هؤلاء الموتى من الاحياء ، والاحياء من الموتى !!

فكان يسيراً على هاته الفئة المتحكمة - وحالة الشعب كما لاحظنا - ان ترسل صيحتها في الشعب ، بان تقاليده مسخت ، وقدسياته امتهنت ، ونفائسه

المحنطة سحقت ، واصنامه المعبودة حطمت . كان يسيراً عليها ان ترسل صيحة كهذه لتدفع بجموع الشعب الجاهل الضليل ، الى محاربة القوى الجديدة الواعية ، المنبعثة من اعماق الشباب الثائر العنيد .

فتخيب المساعي وتضيع الجهود، وتتلاشى هاتيك القوى الفتية الناهضة ظلماً وجهلاً وضلالة وجحوداً .

وإذ كانت هذه هي البيئة ، وهذا هو المجتمع الذي عايشه الشابي ، فأي شيء يمكن ان تفيض به نفس هذا الفتى الثائر الطموح ؟

واي شيء يستطيع ان يقدمه لشعبه ليتحرر من عبوديته وينطلق من أغلاله ؟ .

« لم يكن الشابي من رجال السياسة او الادارة فيسعى لقلب النظام او قائداً عسكرياً فيشنها ثورة دامية ، يزحزح بها تلك الهياكل المتجبرة عن عروشها ، ليفسح للشعب طريق التحرر والحياة ، حياة انسانية كاملة . وانما كان شاعراً . والشاعر لا يملك سوى قلبه » (١) ووجدانه وعواطفه . فذوّب قلبه اناشيد ، وحرق وجدانه بخوراً في معبد الحياة ، وجنّد عواطفه لمحاربة الظلم والخنوع . فثار على كل وثن من اوثان الأدب ، وكل رأي سقيم لا ينفع ، او قديم لا يفيد . وبدأ ثورته بفك قيود الأدب واغلاله، وخلص بنفسه من طرائقه القديمة الممقوته ، واساليبه الرثة الميتة . فبعث طرائق فتيـــة رائعة ، واساليب حية ممتعة ، قوية في روحها وموضوعها ، خلابة في فنها وجمالها ، ساحرة في تعابيرها وصورها .

---

(١) ذكرى الشابي للاستاذ الهادي العبيدي . (عن مجلة الاسبوع التونسية) .

وقد اوضح الشابي افكاره وآراءه بجرأة نادرة وحماس شديد، في كتابه الخالد: «الخيال الشعري عند العرب». وان اول دعوة صريحة ثائرة، نقرأوها في هذا الكتاب هي قوله:

(... لقد اصبحنا نتطلب حياة قوية مشرقة، ملؤها العزم والشباب ومن يتطلب الحياة فليعبد غده الذي في قلب الحياة. اما من يعبد امسه وينسى غده فهو من ابناء الموت وأنظآء القبور الساخرة...) فهذه الصراحة المنبعثة من اعماق نفسه بكل حرارة وصدق، وهذا الحماس اللاهب والاخلاص القوي، المتدفقان من كل سطر من سطور الكتاب وكل كلمة فيه، لم تكن - مجتمعة او منفردة - لترضي اولئك الخادرين والسادرين، الذين الفوا السكون واستسلموا للنوم الابدي، وارتاحت قلوبهم الى ضروب من الجمود والعبودية، وهضمت معدهم طعام الذل الموروث، ورضيت نفوسهم بارتداء ملابس فصلّت لغيرها، وباخرى بليت لكثرة ما تناوبتها الاجيال. تلك الأجيال التي عاشت كما يعيشون، عالة على غيرها، لا تشعر بوجودها إلا في احضان الماضي، ولا تستمد غذاءها إلا من نبش القبور وجثث الموتى. فهي لا تشعر بانها كائن حي، ولا تحس بتيارات الحياة، ولا تتصل بهذا العالم إلا كما تتصل به الاحجار او الرمال، بل لعل هاتين اكثر اتصالاً وانفع منها للحياة. ولقد رُمي الشابّي من اجل ذلك، بنكران الماضي ومحاربة امجاده، وبالعقوق لآبائه واجداده، وبالثورة على المقاييس الشائعة، والطرائق الذائعة، وبالسخرية من التراث (المقدس) الجليل، وتشويه محاسنه ومسخ جماله!!..

وصحيح ان الشابي كان ثائراً على السخافة المستحكمة والعقول المحنطة، والتقاليد الجامدة، والمقاييس المتحجرة.

وصحيح انه كان مجدداً جريئاً وبناء قديراً، يملك سلاح التجديد، ويبني لنفسه ولامته حياة جديدة ومجداً طريفاً، ويعيش في حاضره ولغده، لا في ماضيه ولأمسه. ولكن ليس بصحيح ان الشابي كان - في لحظة من حياته - ساخراً من اجداده او من تراث هؤلاء الاجداد.

وها هو يفصح عن نفسه ويوضح حقيقة آرائه في رد من ردوده على احد ناقديه فيقول:

(... وبعد. فانا احب ان يعلم الأديب الفاضل (١). انني اذا كنت ادعو الى التجديد الأدبي واعمل له، فان ذلك لا يدفعني الى الهزء والسخرية بآداب الاجداد - كما قد حسب - بل انني لأومن كل الايمان بما فيها من جمال فني وسحر قوي، واعتقد انها قد آتت في عصورها الحية لاجدادنا كل ما طمحت اليه اشواقهم من غذاء معنوي دسم، ولكنني أومن الى جانب ذلك ان في الحياة آفاقاً مجهولة ساحرة، غير ما في الأدب العربي من آفاق، وان هذا الادب اذا كان قد سد خلة آبائنا الروحية، فانه لعاجز كل العجز عن ان يشبع ما في ارواحنا من جوع وعطش وطموح. وانه اذا كان لزاماً علينا ان نعجب بهذا الادب ونفخر به، كحلقة من سلسلة ذاتيتنا العربية، وكمنجم ذهبي نرجع اليه كلما أردنا ان نصوغ

---

(١) هو الاستاذ مختار الوكيل الشاعر المصري المعروف. وقد كتب نقداً لكتاب، الخيال الشعري عند العرب، ونشره بمجلة ابولو ص ٨٣٣ س ١٩٣٣.

لأفكارنا حليهـــا الساحر الجميل ، فان ذلك الاعجاب لا ينبغي ان ينقلب في نفوسنا الى تقديس فعبادة فجمود فاطباق لأبصارنا عن كل ما في السماء من اشعة ونجوم .

هذا رأيي ، وهذا بعض ما دعوت اليه في كتاب « الخيال الشعري عند العرب » وما احسب في مثل هذا شيئاً من الغلو او الاغراق ، او تنقص ادب الاجداد او الزراية عليه .

فان كان ناقدي المفضال يأبى بعد هـــذا الا اعتباري « متطرفاً » غالياً ، ومنتقصاً لأدب الاجداد ، فليفعل واجري على الله) (١) .

لست اشك لحظة في انه ما من احد قرأ هذه الكلمات العذبة ، التي تنطوي في ايجاز بالغ وروعة محببة ، على آراء جريئة صريحة وافكار نبيلة قيمة ، ما من احد قرأ هذه الكلمات او استمع اليها ، الا تملكه الاجلال والاكبار لهاته النفس المؤمنة بحقها في الحياة ، البارة بحق آبائها واجدادها ، المخلصة لتراثهم وامجادهم ، العاملة على بناء مجد فتي وأدب خالد .

ولكن ، أنى لاولئك الخائرين ان يفهموا شيئاً من ضياء العزم ونور الايمان وجلال الحق وناموس الحياة .

انى لهم ان يستسيغوا تلك الانغام السماوية الساحرة ، المنبعثة عن كل بيت من شعره ، وكل سطر من نثره .

---

(١) من رد الشابي على ناقده المنشور في المجلة السابقة ص ١١٧٢ سنة ١٩٣٣ .

أنى لهم إن يدركوا ذلك الجمال السرمدي ، وتلك الاجواء المستنيرة ، في عالم الخيال الرائع ، ورحاب الابداع الزاخر .

أنى للقلوب المريضة والنفوس المنهوكة السادرة ، ان تدرك طهارة الملاك ، وجمال الذات المطلقة ، وصفاء الفن وقداسته .

ومتى كانت الاشواك والديدان تستطيب عطر الورود ورقة النسيم، وتستشف جمال الازهار ، وزرقة السماء ؟!!

انت كالزهرة الجميلة في الغاب ... ولكن ما بين شوك ودود
فافهمي الناس ، انما الناس خلق ... مفسد في الوجود غير رشيد
ودعيهم يحيون في ظلمة الاثم ... وعيشي في طهرك المحمود
أنت تحت السماء روح جميل ... صاغه الله من عبير الورود
وبنو الارض كالقرود ، وما أضـ ... ـيع عطر الورود بين القرود
انتِ من ريشة الاله فلا تلـ ... ـقى بفن السما لجهل العبيد
أنت لم تخلقي ليقربك الناس ... ولكن لتعبدي من بعيد !!

أي نعم يا أبا القاسم ! فان نفسك الكبيرة تلك ، بروحها الطاهرة وقلبها الحساس ، لم تخلق ليقر بها الناس وتحيا بين العبيد ، وانما لتعبد من بعيد ، ومن بعيد بعيد !...

وهكذا كان الشابي كشمعة تحترق لتضيء الى السائرين في شعاب الارض ومسالك الحياة،طريق المجد وسبيل النور ، فأذاب روحه اناشيد ، وألهب قلبه اغاني وأهازيج ليقود قومه في موكب حافل بالانغام والألحان مكلل بالازهار والرياحين .

كان ذلك يوم أجال الشاعر بصره في ارجاء الكون ، ومحاسن الوجود ، فلم يجد سوى طيور طراب تتنقل بين الاشجار والربى ، وفي الاجواء والبطاح . وشمس تتهادى في الصباح . بعد فجر حالم منير ، فتعيد الى الدنيا حياتها الصاخبة ، وتبعث في الخلائق القوة والنشاط . وزهور عابقة في الحقول والاحراج ، وورود ناعسة في الرياض والمروج ، ونجوم تتراقص في الليل البهيج ، على صفحات الماء العذب النمير ، او البحر المائج الفسيح . وبدر يرسل اشعته الفاتنة على الارجاء ، فيحيل ظلام الليل الداجي الى دنيا من السحر والجمال ، فيبدو الوجود كأحلام تراقصت نشوى في خيال شاعر زاخر المشاعر ، فياض الاحاسيس .

أجال بصره في ذلك كله ، واكثر منه ، فأيقن ان للحياة فتنة لا تدركها الابصار ، وان للعالم جمالاً حقيقاً بالعبادة ، حرياً بالأجلال والتقديس . ثم عاد الى قومه فحدثهم عن جمال الحياة وسحر الوجود ، وفتنة الكون الكبير ، فما استمع احد منهم اليه ، ولا حفل بحديثه انسان . فتألم وتأوه ، ثم طوى ألمه ، وأسكت آهاته ، وعاد اليهم في الصباح ـ صباح الحياة ـ وقد ضمخ اكوابه بعطر الورود ، وعبير الازهار ، وأترعها بخمرة نفسه وعصارة قلبه ، ثم قدمها صبوحاً للشاربين من ابناء شعبه ، ولكنهم ما ألفوا بعدُ خمرة النفوس المنصهرة ولا ذاقوا رحيق القلوب المتفجرة في صباح الحياة . فأهرقوا خمرته وحطموا كأسه ـ كأسه الغريبة عليهم ـ فتألم الشاعر من اعماق قلبه الجريح ، وتوجع بكل حاسة مشبوبة فيه . ثم كفكف آلامه ودموعه وجمع احاسيسه وقواه ، ونضد باقة من أزاهير الحياة واوراد الوجود وقدمها اليهم ، عل شذاها يفتح حواسهم المغلقة ،

والوانها تستهوي ابصارهم الكليلة . ولكنهم - ويا للعار - كانوا اشد شراً منهم في المرة الاولى ، فأدرك انه مجهول في قومه غريب بينهم :

يا صميم الحياة ، كم أنا في الدنيا غريب ، أشقى بغربة نفسي
بين قوم ، لايفهمون اناشيد فؤادي ، ولا معاني بؤسي
في وجود مكبل بقيود ... تائه في ظلام شك ونحس
فاحتضني ، وضمني لك بالماضي فهذا الوجود علة يأسي

ثم عصف وثار ، فدمدم عليهم برعده واعصاره ، فكاد يعصف بهم في قصيدته « النبي المجهول » :

أيها الشعب ليتني كنت حطاباً فأهوي على الجذوع بفأسي !
ليتني كنت كالسيول اذا سـ ـالت ، تهد القبور رمساً برمس !
ليتني كنت كالرياح فأطوي كل ما يخنق الزهور بنحسي !
ليت لي قوة الاعاصير يا شعبي فألقي اليك ثورة نفسي !
ليت لي قوة الاعاصير لكن انت حي يقضي الحياة برمس !
انت روح غبية تكره النور ، وتقضي الدهور في ليل ملس !
انت لا تدرك الحقائق ان طافت حواليك دون مس وجس !
في صباح الحياة ضمخت اكوابي وأترعتها بخمرة نفسي
ثم قدمتها اليك ، فأهرقت رحيقي ودست ياشعب كأسي !
فتألمت ثم اسكتُ آلامي وكفكفت من شعوري وحسي
ثم نضدت من ازاهير قلبي باقة لم يمسها اي انس

ثم قدمتهـــا اليك فمزقت ورودي ودستهـــا اي دوس !
ثم البستني مـن الحزن ثوباً وبشوك الصخور توجت رأسي !

ولكن هذه العاصفة الهوجاء، هدأت في نفس الشاعر ، وثاب بعدها الى شيء من الرضى والاطمئنان ، والى نوع جديد من الحياة ، اعتزم ان يأخذ ايامه الباقية عليه ، فاختار ان يحيا بعيداً عن قومه ، بعيداً عن بلاده :

ليت لي ان اعيش في هذه الدنيـــا بعيـداً بوحدتي وانفرادي
أصرف العمر في الجبـال والغا بات بين الصنوبر الميـــاد
ليس لي من شواغل العيش ما يصرف نفسي عن استماع فؤادي
عيشة للجمال ، والفن ابغيهـــا بعيـداً عن امتي وبـــلادي
لا اعني نفسي باحزان شعبي فهو يحيـا في ظلمـــة الآباد
حسب نفسي من الأسى ما لديها من طريف مستحدث وتلاد

ولقد مضى شاعرنا الى الغابات فعلاً ، فقضى بقية عمره فيها ، وعاش بين اشجار زيتونها ونخيلها وسروها وصفصافها ، كما يشاء وكما يحب الفنان ان يعيش .

وفي الغابات المحببة الى نفسه وبين سفوح جبالها المكللة بالصنوبر والصخور وتحت ظلال الاشجار الوارفة فيهـــا ، طلع عليه صباحه الجديد ، فاذا جراحه تسكت وأشجانه تسكن ، وآلامه تنتهي ، واذا به ينطلق ليعانق صباحه الجديـد « وليذوب في فجر الجمال السرمدي » . ثم رأيناه يمشي الى الشاطيء ـ شاطيء الابدية ـ في سكون حالم وغفوة نشوى . حيث ركب هناك زورقـــه المسحور ، ونشر قلاعه البيضاء ، ورفـع يده مودعاً ـ عالم الآثام والبغضاء ـ ثم انساب في

خضم الأبدية العميق ، وكأنه حلم ليلة ساحرة ، أو رؤيا جمال عبقري :

أسكتي يـا جراحْ واسكني يا شجونْ !
مات عهـد النواح وزمان الجنـــون !
وأطلَّ الصبـاح من وراء القرون !

* * *

من وراء الظلامْ وهدير الميـاهْ !
قد دعاني الصبـاح وربيع الحيـاه !
يا له من دعـاء هز قلبي صداه !!
لم يعد لي بقاء فوق هذي البقاع !!
الوداع الوداع يا جبـال الهموم !!
يا ضباب الأسى يا فجاج الجحيم !!
قد جرى زورقي ... في الخضم العظيم !!
ونشرت القلاع فالوداع الوداع !!!

والآن !... وقد انتهت آلام الشابي ، وسكتت جراحه ، وسكنت شجونه أفما يحق لنا ان نسأل عن ذلك المنبع الفياض ، الذي تدفقت منه هذه الآلام وتلك الجراح وهاتيك الشجون ؟

لم تكن آلام الشابي وجراحه ، الا آلام شعب كامل وجراح امة باسرها ، حملتها نفس بشرية واحدة ، وانطوى عليها قلبها الانساني الكبير ، ففاضت انغامها الساحرة من اوتار قلبه ، وتصاعدت آهاتها المرة من اعماق نفسه .

وليس من شيء يصهر النفوس ، ويطهر الارواح والقلوب ، كالألم الانساني العنيف ، حين ينبعث من اعماق الضمير وارجاء النفس ، بكل حرارة وعنف وبكل شوق وحنين .

والألم ينبوع العبقرية وفيض النبوغ . وكل شاعر فنان صهره الالم ، وعذبته الاوجاع ونال منه الحرمان في اية ناحية من نواحي الحياة ، الا تفجر قلبه عن ابدع الصور واروع الالحان ، وعزف للانسانية اعذب الاغاني وأمرها .

والألم وليد الاحساس القوي المرهف ، والشعور العميق باسرار الحياة ، وعيوب البيئة والمجتمع .

والشاعر الفنان يخلق لنفسه « في احلامه وامانيه » بيئة مثالية سامية ، ومثلاً عالية في الحياة ، والواناً ساحرة من الاجواء والاضواء ، ولكنه سرعان ما تتحطم آماله وأمانيه ، وتنهار مثله واحلامه ، حين تصادمه حقائق البيئة المرة ، ويعانده في عنف واقع يحيا عليه قومه . ويعيشون فيه عن رضى واطمئنان . ولكن اي واقع حزين هذا الذي يحيا عليه قومه ؟ . . .

واي مجتمع منكود ، هذا الذي عاش شاعرنا بين اهله وبنيه ؟ . . . انه مجتمع خائر منهوك في جسده ، غبي تافه في روحه ، حقير ساذج في مثله واحلامه ، باهت في الوانه ، ممل في انغامه .

واي شعب تجمعت في حياته هذه الخطايا ، الا كان شعباً غبياً خادراً ، لا يفقه شيئاً من معاني الحياة واسرارها ، وجمال الوجود وفتنته ، وعفة الحب

وطهره ، ونبل الحق وجلاله ، وشرف الكفاح وروعته ، ومجد الشباب وثورته ، وشوق الشاعر واحلامه ...

والشابي كان ذلك الشاعر ، وشعبه كان هذا الشعب ، في تلك الفترة القصيرة التى عاشها شاعرنا بين ابنائه .

فكان للألم من ذلك كله نبع غزير في قلبه ، وكانت لآلام شعبه وجراحه رجاعها القوية في نفسه ، فانسابت من بين شفتيه صرخات توجع ، وآهات انين . وتدفقت من اوتار قلبه انغام قوة كاسحة ، والحان ثورة مدمرة جارفة .

ولقد أحس الشابي بعذابه وجراحه منذ اللحظة الاولى التي رأى فيها الحياة على صورتها الحقيقية ، ومنذ اللحظة الاولى التي احس فيها بالآم شعبه وتعاسته ، ومدى ما يرزح تحته هذا الشعب من اعباء الظلم واصناف الطغيان،ومن سجوف الماضي وسيئاته . فتأوه لذلك وتألم ، ثم جمع قواه ، واندفع بايمان الشباب ، وحيوية الفتوة ، وعزيمة الجبار ، الى الصفوف الاولى مناضلاً لخير بلاده وتقدمها ، ومكافحاً في سبيل تحريرها واستعادة مجدها واحلالها المحل الذي يجدر بها ان تناله بين أمم الارض وشعوبها . فخاطب شعبه بصنوف من القول لم تألفها اسماعه ، وعرض عليه اسلوباً في الحياة لم تتعوده طباعه واخلاقه ولا يتفق مع ركوده واستسلامه . فقوبلت اقواله وأساليبه بالسخرية والاعراض من قومه ، فزاد ذلك من آلامه وجراحه واحترق في اتون من السخط والثورة على هذا الغباء المستحكم ، والجهالة المتأصلة والجمود الأخرس . فاستمع اليه منددآ بذلك قوله :

أنت يـا كاهن الظلام حياة تعبد الموت أنت روح شقي
كافر بالحياة والنور ، لا يصغي الى الكون قلبـه الحجري
أنت دنيا يظلها افق الماضي وليـــل الكآبة الأبـــدي
والشقي الشقي في الارض شعب يومه ميت وماضيه حي !!

ويشاء القدر العنود أن يزيد آلام هذا القلب الانساني الكبير آلاماً جديدة كل يوم ، فوق ما يعانيه شعبه من آلام الاستعمار ، وآلام الركود والاستسلام . آلام ناء بها جسمه النحيل وقلبه المعذب المكلوم . وأي آلام اشد على مثل هـــذا القلب من فقد الاعزاء والاقربين ؟!!! كانت اولى هذه الآلام فقد شاعرنا لوالده ، اعز مخلوق عنده . ثم اصابته بـــداء لا دواء له ، وبهذا تجمعت على هذا الانسان الوحيد ، والقلب الانساني الأليم صنـــوف من الألم ، وضروب من العذاب ، وسهام من كل صوب . وهنا تتجلى مظاهر العبقرية ، وقـــوة الايمان ، وبطولة النفس الانسانية الخالدة . فلم يُحنِ هامتـه للظلم ، ولم يجرفه تيار الركود ، ولم يستسلم حتى للقدر العاتي والقضاء المحتوم . فهذا الظلم ينازله قائلاً :

ألا ايها الظلم المصعّر خدَّه ... رويدك ان الدهر يبني ويهدمُ !!
أغرك ان الشعب مغضٍ على قذىً لك الويل من يومٍ به الشر قشعمُ !!
ألا ان احلام البـلاد دفينة تجمجم في اعماقها ما تجمجمُ
ولكن سيأتي بعد لأي نشورهـا وينبثق اليوم الـذي يترنم
هو الحق يبقى ساكناً فاذا طغى باعماقه السخط العصوف يدمدم!
إذا صعق الجبـار تحت قيوده سيعلم اوجاع الحياة ويفهم !!!

وهذه أمته ، يهيب بابنائها ، ان انهضوا وسيروا في طريق الحياة ، فمن نام لم تنتظره الحياة :

خلقت طليقاً كطيف النسيم وحراً كنور الضحى في سماه
تغرد كالطير اين اندفعت وتشدو بما شاء وحي الأله
وتمرح بين ورود الصباح وتنعم بالنور انى تراه
وتمشي كما شئت بين المروج وتقطف ورد الربى في رباه
كذا صاغك الله يا ابن الوجود وألقتك في الكون هذي الحياه
فمالك ترضى بذل القيود وتحني لمن كبلوك الجباه ؟!
وتقنع بالعيش بين الكهوف فاين النشيد ؟ واين الأياه ؟!
أتخشى نشيد السماء الجميل ؟ أترهب نور السما في فضاه ؟!
الا انهض وسر في سبيل الحياة فمن نام لم تنتظره الحياه !!
ولا تخش مما وراء القلاع فما ثم الا الضحى في صباه
الى النور فالنور عذب جميل الى النور فالنور ظل الاله !!

وهذا القدر يصارعه في عنف واعتداد ، وكأنه لا يقل عنه شيئاً في القوة والجبروت . فأرهف السمع لهذه الانغام الصاخبة ، والقذائف الشعرية الكاسحة ، في قصيده الخالد : « نشيد الجبار » او « هكذا غنى بروميثيوس » :

سأعيش رغم الداء والاعداء كالنسر فوق القمة الشماء ...!
... وأقول للقدر الذي لا ينثني عن حرب آمالي بكل بلاء !

« لا يطفىء اللهب المؤجج في دمي ... موج الاسى، وعواصف الارزاء !
فاهدم فؤادي ما استطعت فانه ... سيكون مثل الصخرة الصماء !
لا يعرف الشكوى الذليلة والبكاء ... وضراعة الاطفال والضعفاء !
ويعيش كالجبار يرنو دائماً ... للفجر ، للفجر الجميل النائي
.. سأظل امشي رغم ذلك عازفاً ... قيثارتي مترنماً بغنائي !
أمشي بروحٍ حالم متوهج ... في ظلمة الآلام والادواء !
النور في قلبي وبين جوانحي ... فعلام اخشى السير في الظلماء ؟!
اني انا الناي الذى لا تنتهي ... انغامه ما دام في الاحياء !
وانا الخضم الرحب ليس تزيده ... الا حياة سطوة الانواء ...!
... اما اذا خمدت حياتي وانقضى ... عمري واخرست المنية نائي !
وخبا لهيب الكون في قلبي الذي ... قد عاش مثل الشعلة الحمراء !
فأنا السعيد بأنني متحولٌ ... عن عالم الآثام والبغضاء !
لأذوب في فجر الجمال السرمدي ... وارتوي من منهل الاضواء !!

حقاً ، اننا لم نعرف لابي القاسم ذلة في الشكوى ولا دموعاً في الملمات ولا خنع لمخلوق في الوجود . وها انتم ترونه رغم آلامه الجمة وجراحه العميقة قد ظل (كالجبار يرنو دائماً للفجر ، للفجر الجميل) فجر الانطلاق من اغلال المادة وقيود الحياة ، وشرور الورى وآثام المجتمع .

فهو السعيد بتحوله (عن عالم الآثام والبغضاء ، ليعيش في فجر الجمال السرمدي ، ويرتوي من منهل الاضواء) .

وانه لسعيد اليوم في عالمه المطلق وكونه الرحيب ، مع حبيبه الفجر ، وصباحه الجديد .

فلتهنأ ـ أبا القاسم ـ بأملك الرحب الجسور ، وحبيبك الفجر الجميل ، وصباحك الجديد المشرق . ولتخلد هناك مع الخالدين الكبار . ولتسعد مع الصدّيقين والابرار .

الأدب المهجري ...

« وأثره في شاعرية الشابي »

إن اثر الأدب المهجري في تفكير الشابي وادبه ، يكاد يفوق اي عامل سواه . ويعود ذلك الى سني الدراسة الأولى ، حيث عرف عن الشابي انه كان يكثر من من قراءة الأدب المهجري وحفظ اشعاره ، وليس من شك في ان النفس البشرية تتأثر اشد ما تتأثر في طفولتها ، فترتسم فيها كل صورة من صور الوجدان والفكر ، وكل طبع من طباع السلوك والأخلاق . والشابي كان عند مطالعته لكتب الأدب المهجري دون الخامسة عشر من عمره ، وهي سن جد خطيرة في التفكير والسلوك والعادات ، اذ فيها تتزاحم على ذهنية الناشىء صور غريبة جامحة ، والوان خلابة رائعة من الخيالات والحب والاحلام .

والأدب المهجري أدب يمتاز بتبرمه الناعم وثورته الجامحة ، وصوفيته الحالمة ، وضروب شتى من الوان المثالية المجنحة في الحب والحياة والميول والآمال . وهي الى ذلك معروضة فيه بشكل ساحر أخاذ ، كأنها عرائس الفردوس او عذارى الاساطير ، تتهادى بثيابها الناعمة كأزهار الروابي وأوراد البساتين . باحثة عن التائهين في افاق الوجود ، الناقمين على اوضاع البشرية ومساويها المخزية ، الراغبين

عن مظاهر الحياة الزائفة والوانها الخادعة ، الناشدين الحب الخالص من القصد والغاية ، الباحثين عن الحياة المجردة من « أنا » و « أنت » و « لي » و « لك » .

هذه الألوان البراقة والصور الراقصة الفاتنة ، قد خليت نفس الشابي في طوره الاول ، وقادت خياله المتوقد وحسه المرهف الى معابد الطبيعة الساحرة وهياكلها الغريبة ، حيث اسمعته اغانيها الحلوة الناعمة ، وكشفت له عن مواطن الجمال والفتنة العارمة في نفسها ، واطعمته ثمارها المسحورة واسكرته برحيق ازهارها وورودها . فاذا هو ثمل بخمرة الجمال وفتنة الوجود ، هائم بحب الحياة المجردة كالزهور ، العاريه كالانهار ، الحالمة كالورود في نسائم الاسحار ، المتغنية كأطيار الغابات وبلابل الحقول ، الراقصة كامواج البحار وسنابل الزروع . فرتل اغانيها بخشوع ، وردد انغام السماء على مسامع الكون ، وحرق في معبد الحياة و « هيكل الحب » اقدس ما يملك من قلب وعقل ووجدان . فاذا شعره انشودة ساحرة في مسامع الأيام والاجيال ، خالدة على مر الازمان والعصور .

وكذلك كان الشابي في جميع ما كتب من شعر ونثر : شعلة تتقد فتنير مسالك الحياة وسبل المجد ، الى الثائرين في عنف ، الناقمين في قوة ، الطامحين الى القمم ، العاملين على بناء مجد فتى وأدب خالد ! .

ذلك ما كان الشابي ، وذلك ما بعثه الادب المهجري في روحه من حيوية واشراق ، وصفاء وسحر ، غير ان ذلك كله لم يحل دون وجود عوامل اخرى ذات اثر واضح في ادب الشابي وتفكيره . وان اهم هذه العوامل - في نظري - ثلاثة :

١ ـــ الادب الغربي المترجم .

٢ ـــ اسلوب طه حسين وتفكيره .

٣ ـــ الادب العربي القديم .

واكبر اثر لهذا العامل الاخير ، يعود للمعري وابن الفارض ، وابن الرومي والخيام . اما الادب الغربي فقد قرأ جميع ما وقعت عليه عيناه من روائعه المترجمة ، لجهله باللغات الاجنبية . وكان يعجب بكبار الشعراء الغربيين ويكبر من شأنهم ، واشد اعجابه كان لجوته الالمانى ولامرتين الفرنسى . وقد حمله هذا الاعجاب على شيء من الغلو العنيف في انكار « الخيال الشعري عند العرب» (١) وفي هذا الكتاب يتبين لنا ـ من ثنايا سطوره وتساوق كلماته ـ اثر طه حسين في التفكير والاسلوب ، وان كان اثر الاسلوب اقل واضعف بكثير من اثر التفكير . كما يبدو فيه ايضاً اثر الادب الغربى في تفكير الشابى وادبه . على ان ذلك كله لم يقف في طريق الشابي دون استكماله لشخصيته الادبية في التفكير والاسلوب . وليس بعيب ان يتأثر الاديب بغيره من الشعراء والكتاب . انما من المستحيل ان يوجد كاتب او شاعر ، دون ان يتأثر بغيره من القدامى او المعاصرين في طالع حياته الادبية ـ على الاقل ـ ولقد استكملت شخصية الشابي عناصر تكوينها قبل وفاته بسنوات لا تقل عن الخمس ، حتى لقد غدا في قصائده الاخيرة ومقالاته مدرسة قائمة بذاتها . ينتسب اليها كثيرون من ادباء الجيل الجديد ... وهذا احد المعجبين بأدب الشابي والمأخوذين بروعته وسحره يتحدث الينا عن اثر ذلك في نفسه فيقول : (... وها نحن نرى فرحة الحياة ما انبثقت في قلب قط انبثاقها في

(١) طبع هذا الكتاب في مطبعة العرب بتونس سنة ١٩٢٩ .

قلب ابي القاسم . ولا تفجرت من شعر تفجرها من اشعاره . وها هي الالفاظ في شعره وكأنها مفاتيح سحرية لعوالم من الانغام والفراديس نطوف فيها مع الشاعر مأخوذين بسحرها وفتنتها ، وانها لبرهان ساطع على ان الوقت قد حان للحكم على الشعراء ، لا بقدرتهم على تصيد المعاني وسبكها بل بقدرتهم على الانفعال النبيل والتحليق في آفاق من المعاني لم تتكشف ، ومدى قدرة الالفاظ على رسمها وتنغيمها . وان اية محاولة لتحليل شعره ليست الا تشويهاً له ، فما تستطيع الالفاظ ولا الكلمات ان تنفذ الى سره الا اذا كانت كلمات ابو القاسم نفسه والفاظه . وهذه لو حللناها من عقودها الشعرية السحرية المنظومة فيها ، لا فقدناها ذلك السر الخفي الذي ينساب الى النفوس فيفعل فيها فعل الربيع بالزهر ... وغاية ما نستطيع قوله من هذا : انه نغمات من الخلد انثالت على مزمار هذا الشاعر في ساعة رضى من خالق الاكوان على ساكنيها ..) (١) .

ومع ذلك فانك حين تقرأ شعر الشابي لا تعدم في تعبيره او تصويره وفي افكاره او آرائه خطوطاً واضحة تدل على منبعها الاصلي . غير انه يزيد بقوة في التعبير وبراعة في العرض والتصوير ، ومتانة في الاسلوب ، وسعة في اللغة ، وقوة في الخيال ، وجمال في التراكيب ، وروعة في التشابيه والاستعارات . وهي بلا شك ميزات جمة يستحق من اجلها الشابي ان يمجد ويخلد في صف شعرائنا الكبار القليلين . وذلك فضلاً عن مزايا ادبه الاصيلة الاخرى . ولبيان ذلك ولايضاح

---

(١) الجزء الاول من شعراء الجيل للاستاذ محمد فهمي .

اثر الادب المهجري في ادب الشابي ، نذكر هنا قصيدتين ذات موضوع واحد ، احداهما لجبران والاخرى للشابي . اما موضوع القصيدتين فهو « السعادة في حياة الناس . وفي نظر كل من الشاعرين . يقول جبران عن السعادة في مواكبه :

وما السعادة في الدنيا سوى شبح يُرجى فان صار جسماً مله البشر

ويقول الشابي :

وما السعادة في الدنيا سوى حلم ناء تضحي له أيامها الامم

ألست ترى معي (ايها القارىء) : ان الصدر في البيتين واحد لفظاً ومعنى ، سوى تغيير طفيف في اللفظ الاخير لم يغير من المعنى شيئاً ، ثم قارن العجز في البيتين ايضاً فانك واجد ـ مثلما وجدت ـ من ان كلا الشاعرين صادق في تعبيره وملهم فيه ، غير ان الشابي كان اعمق من جبران واصدى تصويراً منه للسعادة في واقع الناس . على اننا حين نتتبع ابيات القصيدة عند كل منهما ، نجد انهما يفترقان ثم يجتمعان مرة اخرى : يفترقان حين يقول جبران :

كالنهر يركض نحو السهل مكتدحاً حتى اذا جاءه يبطي ويعتكر
لم يسعد الناس الا في تشوقهم الى المنيع فان صاروا به فتروا
فان لقيت سعيداً وهو منصرف عن المنيع فقل : في خلقه العبر

ويقول الشابي ا

ترجو السعادة يا قلبي ولو وجدت في الكون لم يشتعل حزن ولا ألم
ولا استحالت حياة الناس اجمعها ولزلزلت هاته الاكوان والنظم
« فما السعادة في الدنيا سوى حلم نـاء تضحي له ايامهـا الامم »

ناجت به الناس اوهام معربدة لما تغشتهم الاحلام والظلم
فهب كل يناديه وينشده كأنما الناس ما ناموا ولا حلموا
خذ الحياة كما جاءتك مبتسماً في كفها الغار ام في كفها العدم
وارقص على الورد والاشواك متئداً غنت لك الطير ام غنت لك الرجم
واعمل كما تأمر الدنيا بلا مضض والجم شعورك فيها انها صمم
فمن تألم لم ترجم مضاضته ومن تجلد لم تهزأ به القمم

وبديهي ان هناك فروقاً كثيرة وعديدة بين ابيات هذا وابيات ذاك . وليس مرجع ذلك الى كثرة ابيات الشابي عن جبران ، كما قد يبدو لأول وهلة ، بل ان ذلك يتضح في ان كلاً منهما يعرض الوان السعادة عرضاً يختلف عن الآخر . وقد سبق ان بينت اتفاقهما في معنى السعادة وصورتها في واقع الانسانية . ولكنهما هنا يختلفان ، فجبران يرى السعادة فكرة في اذهان البشرية وشبحاً ترجوه باشتياق دائم ، فان هي ادركته بعد طول عناء وجهد مر ، ملته ورغبت عنه جادة في سبيل غيره من الاشباح ، وهي في ذلك كالنهر يكدح مسرعاً نحو غايته ، حتى اذا اشرف عليها توانى وتكاسل . وعنده ان الناس لا يستشعرون السعادة ولا يتحسسونها ، الا حين تشوقهم القمم وتغريهم المطامح ، فاذا نالوها او اشرفوا عليها ، اصابهم الملل وتملكهم الفتور .

والشابي على عكسه ، يرى ان الناس لا يستشعرون السعادة ولا يتحسسونها الا باستسلامهم لمشيئة الدنيا ، وامتثالهم لقضائها واحكامها ، وتجنبهم الملل والتبرم منها . اذ ليس في الدنيا من تألم فرُحم ، او تجلد فرُجم . وهذه هي

سعادة الناس التي لا يدرك كنهها ويتذوق ثمارها ، الا رجل يريد ان تبتسم له الدنيا وتواتيه حظوظها ، فيماشيها كما تريد ويستسلم لما تحويه الليالي وتأتي به الايام .

واذن ، فان جبران يرى السعادة في واقع الناس : شيئاً يسعون لنيله في شوق ملح وتعب عسير ، حتى اذا نالوه او اشرفوا عليه ملوه وتحولوا عنه الى غيره . ويرى الشابي ، ان السعادة في حياة الناس : شيء جميل طمحوا اليه فهبوا يجدون في سبيله ، ولكنه ناء بعيد ، لا يدركونه بحال ، والسعيد من عاش كما شاءت الحياة .

وبعد ذلك يعود كل من الشاعرين فيلتقي بصاحبه ، وذلك حين يعرض علينا كل منهما ألوان سعادته وصور الحياة السعيدة (عنده) . فيقول جبران :

ليس في الغاب رجاءٌ لا ولا فيه الملـلْ
كيف يرجو الغاب جزءاً وعلى الكل حصـل
وبمـا السعي بغاب املاً وهـو الأمل
انما العيش رجـاء احدى هاتيك العلل

* * *

أعطني النـاي وغن فالغنا نار ونـور
وأنين النـاي شوق لا يدانيـه الفتور

* * *

ويقول الشابي :

وان اردت قضاء العيش في دعة شعرية ، لا يغشي صفوها ندم

فاترك الى الناس دنياهم وضجتهم وما بنوا لنظام العيش او رسموا !
واجعل حياتك دوحاً مزهراً نضرا في عزلة الغاب ينمو ثم ينعـــدم
واجعل لياليك احلاماً مغردة ان الحياة وما تدوي به حلم

وهكذا يتفقان مرة اخرى ، حين يعرض كل منهما صورة السعادة في نفسه ورأيه فيها . فهما ، كما ترى ، لا يعرفان للسعادة وجهاً الا في حياة الغاب. فدونك « اخي » والغاب ان كنت تريد ان ترى (السعادة) وتحضى بها فيما تبقى لك من ايام . اما انـا فحسبي دون ذلك ، من هذه الحياة الصاخبة ، بما فيها من نظم واعمال ، وكدح وأمل ، وأشواق واحلام .

هذا ـ ايها القارىء ـ مثال واحد سقته للتدليـل على اثر الادب المهجري في اسلوب الشابي وتفكيره . على ان الشابي يمتاز ـ كما قدمت ـ بدقة بالغة في تعبيره وبراعة فائقة في تصويره ، الى غير ذلك من مقومات شخصيته الفـــذة العجيبة . وليست تلك المزايا بالشيء القليل من شاعر قطفت يد الموت زهرة حياته الغضة ، في سن السادسة والعشرين . وهي سن جـد باكرة ، ان قدرنا على التحديد ، سن الاستكمال الثقافي والنضج الذهني . ولكنها العبقرية تفعل ما تريد ...!

تصوير وتعبير

اريد ان اعرض عليك الآن - ايها القارىء الكريم - شاعرية ابي القاسم ، ممثلة في صدقه في التعبير ودقته في التصوير ، وما تفيض به صوره وتعابيره من الوان القوة والحيوية. تلك القوة التي يغمرنا تيارها وتمتلك علينا مشاعرنا ، حين نستمع لشعر القوة وانغام الحياة كالسيل من قصيدته « ارادة الحياة » :

اذا الشعب يوماً اراد الحياة فلا بد ان يستجيب القدر !!
ولا بد لليل ان ينجلي ولا بد للقيد ان ينكسر !!
ومن لم يعانقه شوق الحياة تبخر في جوها ، واندثر !
كذلك قالت لي الكائنات وحدثني روحها المستتر
فعجت بقلبي دماء الشباب وضجت بصدري رياح أخر

✡✡✡

وقالت لى الارض لما تساءلـ ت ياأم ! هل تكرهين البشر ؟:
« اباركُ في الناس اهل الطموح ومن يستلذ ركوب الخطر !
والعن من لا يماشي الزمن ويقنع بالعيش ، عيش الحجر !
هو الكون حي يحب الحياة ويحتقر الميت المندثر !

فلا الافق يحضن ميت الطيور ولا النحل يلثم ميت الزهر ..!

✡✡✡

..واعلن في الكون ان الطموح حبيب الحياة وروح الظفر ..!

✡✡✡

اذا طمحت للحياة النفوس فلا بد ان يستجيب القدر ..»!

إن هذه الأبيات المختارة من قصيدته «ارادة الحياة» لتعبر اوضح تعبير واصدقه على ما كان يجيش به فؤاد الشابي من حب للحياة وطموح الى الخلود، وايمان صادق قوي بان النصر حليف الطامحين، وغاية سامية يصل اليها المناضلون الذين غمرت قلوبهم الحياة، وامتلأت بحبها، فمضوا ينشدون النصر عن طريق الايمان والطموح، والكفاح والنضال. وهؤلاء هم ابناء الحياة الصادقون، وويل لمن تعرض لابناء الحياة، وسحقاً لمن كان عدواً لهم، باذراً للشر بينهم، خانقاً للحق ناشراً للجور. ألا انه لظالم جبار، وان يوم حسابه لعسير، وان مصيره لنار وعذاب ودماء ولهيب، وذلك أقل جزاء للظالمين الطغاة الذين يسخرون بأنات الضعفاء، ويخضبون أكفهم بدماء الشعوب، ويدنسون سحر الوجود بارجاسهم، ويبذرون اشواك الاسى والعذاب في ارجاء العالم... هؤلاء هم طغاة العالم الذين سيجرفهم سيل الدماء، يوم تريد الشعوب الحياة. فاستمع معي لهذا كله معزوفاً على قيثارة الشابي، في قصيدته «الى طغاة العالم»:

ألا ايها الظالم المستبدُ حبيب الفناءِ عدو الحياة
سخرت بأنات شعب ضعيفٍ وكفك مخضوبة من دماه

وعشت تدنس سحر الوجود وتبذر شوك الأسى في رباه

✡ ✡ ✡

رويدك لا يخدعنك الربيعُ وصحو الفضاء وضوء الصباح
ففي الافق الرحب هول الظلام وقصف الرعود وعصف الرياح
ولا تهزأنَّ بنوح الضعيف فمن يبذر الشوك يجن الرياح!!

✡ ✡ ✡

تأمل هنالك انى حصدتَ رؤوس الورى، وزهور الأمل
ورويت بالدم قلب التراب وأشربته الدمع حتى ثمل
سيجرفك السيل، سيل الدماء ويأكلك العاصف المشتعل!!

ألا قلي بربك ، اي شعور فاضت به هذه النفس ، واي ايمان امتلأ به قلبها ؟ . انها لنفس تفيض بدافق الاحاسيس وزاخر المشاعر ، واذا تصادم الاحساس الثائر والشعور الملتهب ، على شاطيء العواطف ، فقد عزفت الحياة اروع الحانها واسمى اغانيها ، واسمعت البشرية انغام القلوب المتفجرة وترانيم المشاعر الملتهبة والعواطف الثائرة . وفي هذا كله سحر للعقول ، وفتنة للنفوس ، ومتعة للوجدان ، وامتلاك للاسماع والقلوب . وتلك حياة الفنان الموهوب : شعور زاخر واحساس فوار، وقلب فروح او حزين ونفس معذبة محطمة يمزق اوصالها الألم ، ويزيد عذابها لهيب المرارة . او سعيدة مرحة تملؤها المسرة وتغمرها الطمأنينة . تعيش مشبوبة بمشاعرها ، وتحيا بقلبها وعواطفها :

عش بالشعور ، وللشعور . . فأنما دنياك كون عواطف وشعور

شيدت على العطف العميق وانها لتجف لو شيدت على التفكير
واجعل شعورك في الطبيعة قائداً فهو الخبير بتيهها المسحور
صحب الحياة صغيرة ومشى بها بين الجماجم والدم المهدور
وعدا بها فوق الشواهق باسماً متغنياً من اعصر ودهور
والعقل رغم مشيبه ووقاره ما زال في الايام جد صغير
يمشي فتصرعه الرياح فينثني متوجعاً ، كالطائر المكسور
ويظل يسأل نفسه متفلسفاً متنطعاً ، في خفة وغرور :
عما تحجبه الكواكب خلفها من سر هذا العالم المستور
وهو المهشم بالعواصف يا له من ساذج متفلسف مغرور

هذه الابيات ، نغمات من قصيدته : « فكرة الفنان » التي قالها بعد ان مر به طور عنيف من الحيرة والشك والغموض . وفي هذه القصيدة يعبر عن اقصى ما وصل اليه من هدوء وطمأنينة وسلام . فقد ظن بأن العقل ، بعد كل الذي بلغ اليه في حاضر الناس اليوم ، من علم وفلسفة وادب وفكر ، وبعد كل الذي اقامه من صروح الحقائق وامجاد المعرفة ، لا يزال طفلاً صغيراً لا يفقه شيئاً من ناموس الوجود واسرار الكائنات . لذلك فهو ينصحنا بان نجعل شعورنا في الطبيعة وما تضمه الطبيعة من بدائع وفنون وما فيها من جمال وسحر ، وعليها من فتنة وضياء ، وبهذا نستطيع ان نتمتع بجمال الحياة ، وان نبتعد عن هذا المتفلسف المغرور ، الذي يقودنا نحو الشقاء وصوب العناء .

غير اني احب ان انبه القارىء الى ان هذا الهدوء الواضح، والطمأنينة العارمة

في نفسه ، لم يصل اليهما عن يقين وجداني ، او اقتناع فلسفي . بل هما ملل من البحث عن المجهول الغامض ، وكلل من سير عقلي متعب خلف سراب الحقائق الكونية . فهما مرحلة من مراحل حياته الفكرية ، وفترة يستجمع فيها الشاعر قواه ، ويستجم خلالها من عناء الطريق ، وليستا غاية انتهى اليها البحث ، وآمن بها القلب ، وصدق الوجدان. وليس ادل على ذلك من اننا نراه يعود مرة اخرى - بعد هذا الاستجمام الذي بدا لنا وكأنه استسلام بلا قيد ولا شرط - نراه يعود الى طور فلسفي غامض عميق . يمتاز عن سابقه بمرارة نفسية حادة ، ويأس عنيف هائل ، وملال من الحياة قاتل ، ورغبة ملحة عاتية ، وضرب من المغامرة شديد . رغبة في وضع حد لهذه الحياة الغامضة الاسرار ، ومغامرة بالحياة في سبيل المعرفة الحقة ، واستكشاف ما خفي من حقائق الكون المجهولة .

اخذ الشابي في هذا الطور ، يحاول ان يدرك كنه الحياة ، وحقيقة الوجود واسرار الكائنات . من اين تأتي الحياة والى اين تمضي ...؟ وما غاية الانسان ، بل من اين يأتي والى اين هو يذهب ...؟ واي عالم هذا الذي يسمونه عالم الموت ...؟ ولم يعيش الانسان بعد ان يولد وهو ينتظره الفناء ؟ ما الحياة ؟ ما الموت ؟ ما الذي خلف الحياة ؟ ما الذي وراء الموت ؟ هكذا اخذ الشابي يعالج الفلسفة في شعره . وهكذا بدأ يبحث في أعمق موضوعاتها ، دون ان يخيفه ما حول هذه الموضوعات من ظلام حالك وقفار شاسعة رهيبة ، وما في هذين من اشباح مرعبة ووحشة مخيفة . لم يرهبه ذلك كله ، لانه يريد ان يدرك كنه هذه الاسرار الغريبة التي ينطوي عليها عالم ما وراء الموت . فماذا عليه ان يعمل كي

يستهدي .. ويستيقن . ويطمئن الى حق واضح ومنطق سليم ، وواقع حي ، يهدأ به القلب ، وتسكن اليه النفس ، ويخضع له العقل ، ويرضى عليه الوجدان ...؟ لا شيء .. سوى ان يرفرف بأجنحة خياله الزاخر ، الى عـــالم الموت الغامض وفضائه المجهول ، وهناك في « ... وادي الموت » العميق الارجاء الفسيح المدى ، حيث تهب رياح غريبة منظورة ، وتمر مواكب الاجيال ، ومحافل السنين ، جلس شاعرنا في ظل واد امـين يستعرض هذه الاجيال والمحافل ، محاولاً ان ينفـــذ بتأملاته الى مـــا في اعماقها من اكناه ، ومكنوناتهـا من اسرار ..! غير انه لم يجد تلك الاسرار ، ولم يظفر بشيء مما يريـــد ، فغمره الشك الصاخب ، وطفق يسأل :

نحن نمشي وحولنا هاته الاكـ وان تمشي ، لكن لأية غاية ...؟
نحن نشدو مع العصافير للشمـ س وهذا الربيع ينفخ نايه ...!
نحن نتلو روايـة الكون للمو ت ولكن ، ماذا ختام الرواية ...؟
هكذا قلت للريـــاح فقالت : سل ضمير الوجود: كيف البدايه ؟!!

✡✡✡

وتغشى الضباب نفسي فصاحت في ملال مر : الى اين امشي ؟
قلت سيري مع الحياة فقالت ، ما جنينا ترى من السير امس ..؟
فتهافت كالهشيم عـــلى الار ض وناديت : اين يا قلب رفشي ؟
هاتـه علني اخط ضريحي في سكون الدجى وادفن نفسي ..!

✡✡✡

ثم ماذا ؟ هذا انا صرت في الد نيا بعيداً عن لهوها وغناها
في ظلام الفناء ادفن أيا مي ، ولا استطيع حتى بكاها !!
وزهور الحياة تهوي بصمت محزن ، مضجر ، على قدميا
جف سحر الحياة يا قلبي البا كي ، فهيا نجرب الموت هيا !!

يقول الشاعر : إن سحر الحياة قد جف ، وانه لذلك يريد ان يجرب الموت ، فهل كان صادقاً فيما عبر عنه وصوره من امانيه ومشاعره ، ومن الوان حياته وعواطفه . . ؟ ان نظرة قصيرة في حياته . ثم اخرى في شعره ، ترينا انه كان اصدق شاعر عرفته الآداب العربية المعاصرة . وحسبنا ان نعلم ، ان الشاعر قد وضع لنفسه خطة ومنهاجاً يسير عليهما ولا يعدو حدودهما ، وذلك في بدء حياته الادبية ، اي قبل ان يبلغ الثامنة عشرة من عمره . وقد ظل ثابتاً على ما رسمه لنفسه من مبادىء في عالم الشعر ، ومن مثل في عالم الحياة ، حق عانق صباحه الجديد واحتضنته الابدية .

وهذه ابيات قليلة توضح لنا ذلك ، من قصيدته « شعري » التي نظمها وهو بعد دون العشرين بسنتين او ثلاث :

شعري نفاثة قلبي ان جاش فيه شعوري
لولاه ما انجاب عني غيم الحياة الخطير
ولا وجدت اكتئابي ولا وجدت سروري
به تراني حزيناً ابكي بدمع غزير

لا انظم الشعر ارجو بـــه رضـــاء الامير
بمدحـــة او رثـاء تهـــدى لرب السرير
حسبي اذا قلت شعراً ان يرتضيه ضميري

وكذلك ظل الشابي ثابتاً على قداسة الشعر ، والارتفاع به عن الاغراض الصغيرة والشؤون العابرة، وكل لون من الوان الحياة الباهتة او التافهة . وحتى الرثاء الذي هو لون من الوان التعبير عن عواطف النفس الانسانيـــة ، في حال حزنها وأساها ، قد امتنع الشابي عن قرض الشعر فية . ولعل مما يدعو الى العجب ، ان الشاعر حين نكب بوفاة والده ، وكان لديه اعز شيء في الوجود لم يستطع ان يرثيه بشيء مما اصطلح عليه في عالم الأدب بشعر الرثاء . وكثيراً ما كان يحدث اصدقاءه بان لا شيء يحز في نفسه ، اكثر من انه شاعر لا يستطيع ان يرثي اعز مخلوق عنده . وكل ما فاضت به قريحته هو هذه الابيات «الايمان بالحياة» :

ما كنت احسب بعد موتك يا ابي ومشاعري عميـاء بالاحزان
اني سأظمأ للحيـاة واحتسي من كأسهـا المتوهج النشوان
وأعود للدنيا بقلب خافق للحب والافراح والالحان
ولكل ما في الكون من صور المنى وغرائب الاهواء والاشجان
حتى تحركت السنون واقبلت فتن الحياة بسحرها الفنان
فاذا انا طفل الحياة المنتشي شوقاً الى الاضواء والالوان
واذا التشاؤم بالحياة ورفضهـا ضرب من البهتان والهذَيان
ان ابن آدم في قرارة نفسه عبد الحيـاة الصادق الايمان

انها لصورة انسانية رائعة ، قل ان تجد لها مثيلاً في شعرنا المعاصر والقديم على السواء . ولم يعبر الشاعر عن هذه الصورة الرائعة ، الا حين خفت احزانه وزالت آلامه ، وعاد يعانق افراح الحياة . ولكنه حدثنا عن نفسه وعن عبودية الانسان للحياة اكثر من حديثه عن والده الفقيد العزيز . بل انه لم يذكر والده الا ليحدثنا عن نفسه وعن إيمانه بالحياة واقباله عليها ، بعد ان عميت مشاعره بالاحزان . وهذا كل ما ترك لنا الشابي ، من تعبير عن هذه الذكرى الاليمة التي بقيت حية بأحزانها واتراحها في نفسه ، تثير في قلبه اللوعة الدامية ، وفي وجدانه صوراً شتى من الافكار والاشباح . ورغم اقباله على الحياة ، بافراحها والوانها وبالحانها ومتعها ، اقبال الظامىء المحروم ، فهو لا يزال يذكر مشاعره العمياء بالاحزان ، وعواطفه المفعمة بالمرارة والاسى لفقده والده . وما ذلك الا صدق الشاعرية في نفس الشاعر ، حين لم يستطع ان يبتعد عن الحياة ، وان يعبر عن واقع لم يحيه . او يتمثله في وجدانه كوناً يزخر بالصور والالوان . فيبدع تصويره ، ويبدع التعبير عنه . وتلك مهمة الشاعر الشاقة وعمله الموهوب . والشعر عند ابي القاسم تصوير وتعبير ، تصوير صادق وتعبير صحيح . اما الشاعر فقوة خلاقة مبدعة ، تصور الكون والحياة ، وتعبر عنهما في قوة عجيبة وابداع ساحر . فشعر الشاعر (قطعة من فؤاده ، وشعلة من روحه) يصور العاطفة ابدع تصوير ، ويعبر عن اعماق النفس في صفاء واشراق . مسرحه الحياة ، ومعينه الجمال ، وحيويته صدق الشعور ، اما مطمحه فالبقاء والخلود ،

انت يا شعر صفحة من حياتي انت يا شعر قطعة من وجودي

فيك ما في جوانحي من حنين ابدي الى صميم الوجود

وقد يعجب القارىء حين يطالع شعر الشابي ، ويعلم بتفاصيل حياته ـ التي لم اعرض منها هنا الا صورة جامعة توضح له حياة شاعرنا العجيبة ، وتربط بينها وبين شعره ـ قد يعجب لهذه القوة الزاخرة في شعره ، ولهذه الحيوية المتدفقة في كل بيت من ابياته ، ولهذا الدم المتفجر ، والشعور الملتهب ، والعاطفة الفياضة بضروب الابداع والجمال . وان اية واحدة من هذه جميعاً لكافية لأن تجعل من الشاعر نبياً لقومه ، وقبلة لجيله وللاجيال التالية ، بل نبياً للانسانية جمعاء ، وقبلة لأبنائها جميعاً . فالشاعر الذي يذوّب قلبه انغاماً ، ويحرق وجدانه شعلاً ، ويستحيل كيانه الى نبع من القوة والسحر ، والفن والالهام ، لشاعر خليق بكل اجلال ، حري بكل تقديس وتمجيد ، جدير بكل سمو وارتفاع . وليس بشاعر من لم يرتفع الى قبة السماء ، ويتحول الكون في شفتيه انغاماً ، ويستحيل هو الى قيثارة مترنمة اوتارها بما (يوسع افق الحياة في نفسك ، ويجعلها تحس بتيارات الوجود اكثر مما كانت تحس ، وتدرك من معانيه واصواته اكثر مما ألفت ان تدرك ، وينسيك وجودك الانساني لحظة لتستغرق في عالم الجمال المطلق) (١) .

والشابي كان هذا الشاعر ، في كل بيت من شعره ، وكل نغمة من نغماته . وانك لتقرأ شعره ، فتشعر ان في كل بيت قطعة من قلبه ، وقطرة من دمه . ومزيجاً من العبقرية والالهام ، والصفاء والاشراق . والى ذلك كله تحس ان هذا

(١) من مقال للشابي عن الشعر . وقد اثبته برمته في قسم المختارات .

الشاعر لا يتصنع في شعره ولا يتكلف فيه ، بل هو صور وانغام تفيض على وجدانه ، وتنساب في تيارات مشاعره ، فيرسلها قلبه ـ وقد سقاها دمه ونفث فيها من حياته ـ شعراً يهز النفوس ، ويحدث في القلوب والعقول جميعاً انفعالات قوية ساحرة ، تنطلق بنا الى عالم مفعم بالرؤى والجمال . وذلك صدق الشعور في تصوير الشاعر وتعبيره . وذلك سر خلود الشابي وشعره . وسر انتشاره وامتلاكه للنفوس ، رغم ان احداً من الناس لم يعن بجمع هذا الشعر ونشره ، ولا قام بالدعاية لصاحبه .

زواج وحب

تزوج الشابي قبل ان ينهي دراسته العالية ، وترك بعد موته طفلين ، هما اليوم من خيرة الشباب التونسي ، يواصلان دراستهما الثانوية في معاهد العاصمة الخضراء .

وعندي ، ان الشابي لم يكن موفقاً في حياته الزوجية . واغلب الظن انه تزوج ارضاء لوالديه او لاحدهما فقط . ومن المؤكد ان الشابي لم يجد في زوجته ، تلك الصورة الشعرية الرائعة التي كان يرسمها للمرأة في اشعاره ويتغنى بها في قصائده . لذلك لم يلبث ان وقع في شراك حب عنيف ، قاده الى معابد الغرام ومحاريب الهوى ، حيث رتل (صلواته في هيكله) واحرق قلبه وعواطفه بخوراً عند اقدام الحبيب .

على ان بعض اصدقاء الفقيد ينكر هذا الحب ، ويحاول تعليل ما قاله الشابي فيه من شعر ونثر ، بانه تمجيد لجنس المرأة وجمالها وفتنتها ، لا افتتان وحب لامرأة بالذات . وفي هذا المعنى يقول صديقه الشاعر محمد الحليوي ما نصه :

« ... وغاية ما يمكننا ان نعرف ، هو ان الشاعر يتغنى بالمرأة ، لا بامرأة ، ويذكر الحب ، لا حباً يميزه من انواع الحب الكثيرة ووقائعه الخاصة ... » ـ وهنا

يستشهد الاستاذ الحليوي بالقطعة التالية من كلام الشابي :

« كنا نسير نحو الغاب ، وكانت غمائم الحقول تحدثنا عن الحب والحياة ، وكانت تقنع السماء بسحابة رقيقة ساجية ، كأنها قناع حورية من بنات الاحلام ، وكان الغاب يبدو في ضياء القمر كرؤيا نبي او خيال شاعر . وكان الحب يتهادى امامنا ثملاً بين المروج الناعسة في سكون الليل ، وعلى منكبيه درع قصير كضباب الصباح ، جميل كغيوم الربيع . ولما اقتربنا من الغاب سمعنا طائراً يغني انشودة القمر ، وسمعنا قيثارة الحب تترنم في جواره ، وسمعنا صوتك العذب الجميل ، يتغنى بوحى الجمال ، يا ابنة الليل ويا ربة الاحلام . » (١)

ثم يواصل الاستاذ الحليوي حديثه فيقول :

« فليس اذن في حب الشابي تلك الحوادث والوقائع التي تتدرج بالحب ، وتجعل له اولاً واخراً ، ومعالم وكلمات تقال بين المحبين ، وآلاماً تعقب الصد ، وفرحات تجيء مع الوصال . فكأنه كان يصف فكرة لا امرأة ، ويصور مثلاً اعلى لا شخصاً من لحم ودم ، له ما يميزه عن الاشخاص الآخرين الذين يتغزل بهم شعراء الحب . وربما كانت حرارة شعره الغزلي ولهفته الصادقة متأتية من حرمانه من الاتصال بالمرأة التي (توحي الى الشاعر وتوجه عاطفته الوجهة الفنية) (٢) .

---

(١) اخذ الاستاذ الحليوي هذه القطعة من « صفحات دامية » وهو فصل من كتاب للشابي ، وقد اثبت الفصل برمته في قسم المختارات .

(٢) عن مجلة العالم الادبي التونسية ص ٤ ، ع ٢ ، ص ١٠٦ — ١٠٧ .

غير اننا نلاحظ ايضاً ، ان الفقرات الـــتي اثبتها الاستاذ الحليوي ، هي من فصل نشر في مجلة العـالم الادبي ، وهذا الفصل أخذ من كتاب لا يزال مغموراً حتى الآن . ولو ظهر هذا الكتاب لكشف لنا الكثير من الحقائق التي قد لا نسلم بها اليوم . على اني اعجب كيف فهم الاستاذ الحليوي من هذه الفقرات ان الشابي كان يتغنى بالمرأة « كجنس ، او كمثل اعلى » لا بامرأة بعينها ؟ ! ولو ان حضرته واصل قراءة الفصل برمته وانعم فيه الفكر والتأمل لغير رأيه تماماً . ذلك ان نهاية الفصل لا تترك مجالاً للشك ، في ان الشابي كان يتغني بامرأة معينة ، الهبه حبها وعذبه هواه بها .

ورغم اننا لم نعرف بعد ـ وقد لا نعرف ابداً ـ حقيقة هذه المرأة التي أحبها ، الا انني اجزم بان الشابي احب فتاة معينة ، وانه شغف بهذا الحب الى درجـــة العبادة والتقديس . ولا يستطيع احد قرأ القصائد : « الساحرة » و « صلوات في هيكل الحب » و « اراكِ » و « تحت الغصون » و « الايمان بالحياة » و « جدول الحب » . ان يقول انه كان يتغنى بالمرأة « كجنس او كمثل اعلى » فنحن حـين نستمع الى الشاعر وهو يردد :

اراك فتحلو لدي الحيـاة ويملأ نفسي صباح الامل
وتنمو بصدري ورود عذاب وتحنو على قلبي المشتعل
ويفتنني فيك فيض الحياة وذاك الشباب الوديع الثمل
ويفتنني سحر تلـك الشفاه ترفرف من حولهن القبل !!

فاعبد فيك جمال السماء ورقة ورد الربيع الخضل !
وطهر الثلوج وسحر المروج موشحة بشعاع الطفل ؟

او حين يقول :

عذبة انت كالطفولة كالاحلام كاللحن كالصباح الجديد !!
كالسماء الضحوك كالليلة القمراء كالورد كابتسام الوليد !
انت ما انت؟انت رسم جميل عبقري من فن هذا الوجود !
فيك ما فيه من غموض وعمق وجمال مقدس معبود !
انت روح الربيع تختال في الدنيا فتهتز رائعات الورود !
وتهب الحياة سكرى من العطر ويدوي الوجود بالتغريد
كلما ابصرتك عيناي تمشين بخطو موقع كالنشيد
خفق القلب للحياة ورف الزهر في حقل عمري المجرود
وانتشت روحي الكئيبة بالحب وغنت كالبلبل الغريد !

حين نستمع الى ذلك كله ، لا يمكننا ان نشك لحظة في ان هذا الشعر انما قيل في امرأة معينة ، وان كنا نجهل حقيقة هذه المرأة .

ومن المؤسف والمؤلم معاً ، ان هذه الفتاة او المرأة التي شغف بها الشاعر ، قد ماتت قبل وفاته بست سنوات تقريباً ، فاحدث موتها في حياة الشابي وفي ادبه انقلاباً بعيد الاثر متعدد الجوانب والصور . ويمكننا ان ندرك هذا من مصادر مختلفة ، منها قصيدته « جدول الحب ، بين الامس واليوم » التي يقول فيها :

بالامس قد كانت حياتي كالسماء الباسمة
واليوم قد امست كاعماق الكهوف الواجمة

✡✡✡

(هو جدول قد فجرت ينبوعه في مهجتي
اجفان فاتنة ، ارتنيها الحياة ، لشقوتي)
اجفان فاتنة ، تراءت لي على فجر الشباب
كعروسة من غانيات الشعر ، في شفق السحاب
ثم اختفت خلف السماء ، وراء هاتيك الغيوم
حيث العذارى الخالدات ، يمسن ما بين النجوم
(ثم اختفت ، اواه ! طائرة باجنحة المنون
نحو السماء ، وها انا في الارض تمثال الشجون)

✡✡✡

قد كان ذلك كله بالامس ! بالامس البعيد . .
والامس قد جرفته مقهوراً ، يد الموت العتيد
قد كان ذلك ، تحت ظل الامس ، والماضي الجميل
قد كان ذلك في شعاع البدر ، من قبل الافول

✡✡✡

واليوم إذ زالت ظلال الامس عن زهري البديع

وتجلبب الزهر الجميل بظلمة الليل المريع

ذبلت مراشفه ، فاصبح ذاويا ، نضو الكلوم

وهوى لأن الليل اسمعه اناشيد الوجوم

ومنها الفصل السابق نفسه « صفحات دامية » . ففي هذا الفصل نرى الشابي يبكي حياة هذه الفتاة ، وحياته الماضية معها ، ويستعرض صوراً وألواناً مشرقة راقصة ، من حبهما السعيد الفقيد ، ثم يندب في نهايته ذلك الامس السعيد الذي كان يضمهما معاً تحت جناحيه ، كبذرتين متعانقتين في اعماق الثرى :

« تلك كانت حياتي بالأمس ، حينما كانت نفسي بخوراً يتضوع في معبد الحب ، ورحيقاً يهرق تحت اقدام الجمال ، وانشودة آلهية تتغنى في هيكل هذا الوجود . . .

تلك كانت حياتي بالامس ، حينما تمايلت في قلبي رؤى الحب الجميل كما تتمايل غلائل الحور في ضياء القمر ، واصطفقت في صدري احلام الشباب الاولى ، كما تصطفق امواج البحيرة الموردة باشعة الشفق الجميل .

تلك كانت حياتي بالأمس ، حينما كان هذا القلب الخفوق يتضوع بعبق الحياة ، ويتوهج بنار الخلود ، ويزخر بشتى العواطف والاحلام . . . وحينما كانت نفسي تركع في محاريب الغاب الجميل ، مرتلة صلاة الحب واغاني الفصول .

تلك كانت حياتي بالامس ، حينما طفح بقلبي خمر الحياة وترنمت في نفسي اغاني الوجود ، وراقصت احلامي عرائس الغابات .

تلك كانت حياتي بالامس ، وما شيده الامس في ضباب الفجر المرصع بالنجوم ، قد هدمته الاهوال في احشاء الكهوف العابسة . وافنت بقاياه غيلان الظلام . . .

تلك كانت حياتي بالامس ، اما اليوم ، فقد انكسرت بين ثلوج الموت تلك الزهرة السماوية الطاهرة ، التي كانت تحبب لي البقاء في هذا العالم ، وبقيت وحدي بين الصخور ، أشبب بالموت واتغزل باهواء القبور » .

واحسب ان هذا لا يترك مجالا للشك في ان الشابي كان يحب امرأة من لحم ودم ، لا مثلاً شعرياً في عالم الخيال . وانه شغف الى حد العبادة بمخلوق ناعم فاتن كفينوس ربة الجمال . . . وان هذه المرأة كانت حقيقة واقعة في حياة الشابي ، وانها كانت بارعة الحسن ذات فتنة هوجاء . . . واكثر من ذلك ، انا ازعم انها كانت تحبه حباً قوياً , وتبادله الغرام في خلوات شعرية رائعة . . . ونحن نجد لهذه الخلوات الغرامية صداها القوي في شعر الشابي ووصفاً معطراً يلتهب بحرارة الحب ونار الهوى . . .

اقرأ معي « تحت الغصون » ثم ردد « الساحرة » تر في هاتين القصيدتين وحدهما تصويراً مشبوباً لهذه الخلوات الغرامية . ووصفاً مفعماً بالصدق والحرارة للقاءات الشاعر مع حبيبته وتناجيهما العذب الحنون .

والواقع ان قصة حب الشابي لم تعرف فصولها بعد ، بل ان العنوان نفسه لا يزال مجهولاً . واحسب اننا لن نستطيع كشف هذه الفصول وجمعها بما يتفق والحقيقة التاريخية ، وبما جرى فعلاً في حياة الشاعر ، الا بعد الاطلاع على كافة

تراث الفقيد الادبي ، ومعرفة جوانب معينة من حياة الشابي الخاصة. وكلا هذين يحتاج الى وقت طويل وجهد كبير . والى ان يتم كل ذلك سأظل مقتنعاً كل الاقتناع بأن الشابي احب في حياته حباً حقيقياً صادقاً ، وبانه اغرم بفتاة معينة غراماً عنيفاً مشبوباً ، وبان تلك القصائد الغزلية الحسان المملوءة بالحرارة والوجد، ان هي الا صدى صادق لذلك الحب ، وتصوير رقيق لاحتراق الشاعر به وتمجيده له ، وعكوفه عليه .

مؤلفات الشابي

كثيراً ما كتب الكتاب وتحدث الادبـــاء وحاضر الخطباء عن ابي القاسم الشابي ، ولكنه ظل مع ذلك يكتنفه الغموض ويحيطه الابهام ، ولم يعرف الناس - والادباء منهم خاصة - حتى الآن الا الجزء القليل من حياته وادبه ، وبقي مـا سوى ذلك - وهو الكثير الأهم - مغموراً عنـــد اقارب الشابي واصدقائه حتى اليوم .

ولسنا نعرف شاعراً معاصراً نكب بما نكب به الشابي ، في حياته وبعـــد موته ، دون ان تتحرك يد واحدة لخدمة هذا الشـاعر العبقري الفذ ، هذا الذي خلف لنا تراثاً ادبياً ضخماً ، ومدرسة ثائرة في الشعر العربي الحديث . وذلك رغم ان عمره الزاخر بالانتاج والابداع ، لم يتجاوز عمر زهرة في مطلـــع الربيع . اذ مات وعمره ربع قرن من الزمن ، هاته المدة اليسيرة التي لا تتيح للانسان ان يستكمل خلالهـا شروط الثقافة والتعلم المنتـــج ، فضلاً عن الابداع والابتكار اللذين يتسم بهما كل ما صاغته قريحة فقيدنا ، او عبرت عنـه شاعريته النابغة .

ولقد حاولت في عدة فصول سابقة الكشف عن جوانب كثيرة من حيـاة

هذا الشاعر المنكوب . وسأحاول في هذا الفصل الكشف عن آثاره الادبية المختلفة التي بقيت لنا بعد وفاته ، والتى نعرف عنها او منها شيئاً قليلاً او كثيراً ، حسب ظروفها منفردة ومجتمعة .

(١) الخيال الشعري

لعل القارىء لا يزال يذكر انني اشرت في فصل « حياة الشاعر » الى ان الشابي كان عضواً فعالاً في « النادي الادبي » الذي اسسه هو وجماعة من الادباء التونسيين تحت اشراف جمعية « قدماء الصادقية » . وباسم هـذا النادي القى شاعرنا في قاعة « الخلدونية » محاضرته القيمة عن الخيال في الشعر العربي . ثم نشرها بعد ذلك في كتاب مستقل عنوانه : « الخيال الشعري عند العرب » . وقد أثارت آراؤه الجريئة في هذا الكتاب زوبعة من النقد والخصومة الأدبية في الصحف والمجلات التونسية وعلى صفحات مجلة « ابولو » المصرية . ولكن الشابي استطاع ان يخمد هذه الزوبعة في الصحف والمجلات ، وان لم يستطع اخمادها في نفوس بعض الناس .

والكتاب مفقود اليوم في المكتبات ، ولم يتول احد اعادة طبعه ، مع انه الاثر الوحيد من بين آثار الشابي الذي طبع واتيح للناس ان يقرأوه . ولعل الجيل الحاضر لم يعرف من الكتاب الا اسمه ، وقليل هم اولئك الذين قرأوه ... وحين يقع بين يديك هذ الكتاب فستجد انه من الحجم الصغير ، وانه ذو ١٤١ صفحة ١٣١/٢ × ١٨٣/٤ وقد تولت نشره سنة ١٩٢٩ « دار العرب » للطبع

والنشر في تونس لصاحبها الاستاذ زين العـــابدين السنوسي وهو الذي كتب للكتاب مقدمته .

والكتاب من حيث تبويبه يحتوي على كلمة للمؤلف ومقدمة للناشر وسبعة فصول هي : (١) الخيال واقسامه (٢) الخيال الشعري والاساطير العربية (٣) الخيال الشعري والطبيعة (٤) الخيال الشعري والمرأة (٥) الخيال الشعري والقصـــة (٦) فكرة عامة عن الادب العربي (٧) الروح العربية، واما من حيث موضوعه فهو دراسة نقدية مقارنة بين الخيال الشعري عند العرب وعند الاوروبيين .

(٢) اغاني الحياة

اعتزم الشابي نشر شعره منذ سنة ١٩٢٩ . فعندما نشر كتابه « الخيال الشعري عند العرب » اعلن في صفحة غلافه الاخيرة ، عن قرب صـــدور ديوانه « اغاني الحياة » . والذي يبدو ان الشاعر لم يتيسر له نشر ديوانه لأسباب قد تكون مادية بحتة وقد لا تكون . على اننا نجد بعد ذلك باربع سنوات اعلانات متتالية عن قرب صدور الديوان ، في مجلة « ابولو » المصرية ومجلة « العالم الادبي » التونسية . وقد فتح باب الاشتراك في الديوان امام القراء ، مما يـدل على ان حالة الشاعر المادية كانت لا تكفي وحدها لطبع الديوان .

والذي سمعته من بعض الناس في تونس ـ وقد يكون غير صحيح ـ أن احد اقارب الشابي قد استولى ـ بعد وفاة الشاعر ـ على الديوان وعـلى ما تجمع من المشتركين بوصفه الوصي الشرعي عـلى اطفال الفقيد واموالـه وتراثه الأدبي .

ويقال ايضاً ، إن عروضاً كثيرة لنشر الديوان قـــد عرضت على هذا (الوصي الأمين) من قبل ناشري الكتب في تونس ، فرفضها اعتباطاً او لأسباب خفيـة غامضة . وبذلك انبعث في نفوس الادباء الجزع والقلق على مصير الديوان ، وهو اضخم تراث خلفه الشابي . وقد انتقل الديوان اليوم من يد الوصي الى شقيق الشاعر الاستاذ محمد الامين الشابي ، الذي عاد اخيراً من فرنسا يحمل شهـادة التبريز (AGRE CATION) في الأدب العربي . وقد قيل إنه يعتزم طبعه كاملاً على النهج الذي وضعه صاحب الديوان .

وانا هنا باسم جميع الادباء العرب أهيب بشقيق الشاعر الاستاذ المبرز في الادب العربي ، ان ينشر تراث اخيه على الناس . وان يبادر قبل كل شيء بنشر الديوان ، فهو عنوان عبقرية الشابي ومرآة نبوغه ، وهو المجال الكبير الذي اظهر فيه ابداعه وتجديده ، وعصر فيه روحه الكئيبة وقلبه الجريح .

(٣) المقبرة

رواية توجد بين مخلفات الفقيد عند شقيقه ، وقد تحدث عنها الاستاذ زين العابدين السنوسي في كتابه « الادب التونسي في القرن الرابع عشر الهجري » عند ترجمته لحياة الشابي فقال :

والشابي (كثير المطالعة ، حاد الذهن ، وله باع طويل في النثر الشعري . قرأنا له فيه رواية حسنة بديعة ، ناهيك انها من نوع « الاعترافات » يقص فيها عـلى لسان بطلها حوادثه وتأثراته النفسية . وهو نوع عزيز حتى عند الامم المختمرة في

نفسها الروح الروائية ، لما يستوجبه من تقمص اشخاص الرواية في قلم الكاتب الذي يضطر الى وصف انفعالاتهم واضطرابهم النفسي الشاذ ، خصوصاً وعلم النفس لم يصبح بعد علماً معلوماً مضبوطاً ! (١) .

(٤) صفحات دامية

« من حياة شاعر »

أشرت إلى هذا الكتاب عند حديثي عن زواج الشابي وحبه ، وهو (قصة خيالية لحياته الثائرة) ولا اعلم اين انتهى اليه مصيره ولا عند من يكون اليوم .

(٥) رسائل الشابيّ

مجموعة كبيرة من الرسائل الادبية القيمة ، تبادلها الشاعر مع كثير من ادباء مصر وتونس وسورية ، منها رسائله حول القصة في الادب العربي ، وقد راسل بها الشاعر الدكتور علي الناصر بحلب . ورسائل اخرى كاتب بها كلاً من الدكتورين الشاعرين ابراهيم ناجي واحمد زكيّ أبو شادي صاحب مجلة « ابولو » المصرية . واخرى كاتب بها كلاً من الشعراء محمد الحليوي ، ومصطفى خريّف ، والمرحوم محمد البشروش بتونس . وقد اطلعت على نماذج من هذه الرسائل كما نشر بعض منها في المجلات التونسية وهي حرية بان تجمع في كتاب خاص تحت اسم « رسائل الشابي » لما تحويه صفحاتها من آراء قيمة في الادب العربي وفنونه

---

(١) الكتاب المذكور ص ٢٠٧ مطبعة العرب . تونس ١٩٢٧ .

المختلفة ، ومن مشاعر رقيقة عذبة ، وتصوير دقيـــق لآلام الشابي وألوان حياته الكثيرة المتباينة .

(٦) يوميات الشابي

وهي مجموعة من المذكرات اليومية التي سجل فيها الشاعر آراءه وخواطره في شؤون حياته المختلفة ، وفي كل ما كان يتصل بهذه الحياة من آلام وافراح . وهي موجودة اليـوم عند صديقه الاستاذ ابراهيم بو رقعة المحامي بمدينـة صفاقس ، وقد نشر بعضها في مجلـــة « مكارم الاخلاق » الصفاقسية ، بداية من عددها الثاني لسنتها الاولى . فعسى ان تتحرك همته لنشرها بـــين الناس كاملة في كتاب مستقل .

(٧) جميل بثينة

قصة جميلة رائعة كتبها باسلوبه الشعري البديع . وكان ينوي القاءهـــا كمحاضرة في «النادي الادبي» ، غير ان المرض حال بينه وبين ما يريد. وهي موجودة اليوم بين مخلفاته عند شقيقه الاستاذ الامين الشابي .

(٨) شعراء المغرب الاقصى

وفي سنة ١٩٢٩ ظهر في مراكش كتاب «الادب العربي في المغرب الاقصى» وقد تناول فيه مؤلفه الاستاذ محمد بن العباسي القباج ، طائفة من شعراء مراكش

المعاصرين بالترجمه والتعريف . وكان الجزء الثاني منه خاصاً بالشعراء الشبان ، وقد تناول الشابي الجزء الاخير بالنقد والتحليل ، وأعد من ذلك دراسة مستفيضة لتلقى كمحاضرة في « النادي الادبي » . غير ان احداً لم يحضر لسماعها من اعضاء النادي سوى اثنين ذهبا معه ! ! وقد سجل الشابي هذا الحادث في يومياته دون ان يعلق عليه بشيء . جاء في يومياته بتاريخ ١٣ / ١ / ١٩٣٠ قوله :

(ذهبت انا والاخ زين العابدين والاخ مصطفى خريف مساء اليوم الى النادي الادبي لالقاء محاضرتى عن كتاب « الأدب العربي في المغرب الاقصى » الذي طلب مني النادي الادبي ان ابسط لهم رأيي فيه ، ولكننا لم نجد احداً هناك) !

فتأمل معي ايها القارىء كيف كان يقابل الشابي بالجحود والاهمال. وأغلب الظن ان لآرائه الجريئة التي اعلنها في كتابه « الخيال الشعري عند العرب » أثراً في ذلك . فقد ذكر اكثر من واحد من اصدقاء الفقيد ومعاصريه الادباء ان اقبال جمهور المتأدبين على استماع الشابي عند القائه لمحاضرته عن «الخيال الشعري عند العرب» كان متناهياً في العدد والاهتمام . وقد تكون ثمة اسباب اخرى لا نعلمها . وأياً كانت الاسباب ، فان مثل هذه الحال لمما يحز في النفس البشرية ، ويعتصر قلب الشاعر المرهف الحساس .

(٩) السكير

(مسرحية ذات فصلين من نوع الاعتراف ، وهي أصعب انواع التأليف كما هو المعروف عند ادباء المسرح . واعرف هذه المسرحية عند ابي القاسم ، وكان

رحمه الله كثير الاعجاب بها. قرأها مراراً. ولعلها تكون باقية في آثاره..) (١).

(١٠) الهجرة المحمدية

وهذه محاضرة القاها الشاعر في «نادي الطلاب» بـ «توزر» بمناسبة ذكرى الهجرة المحمدية في سنة ١٣٥١ هـ. وقد نشرها تباعاً في مجلة «العالم» التونسية لصاحبها الشاعر المرحوم سعيد ابي بكر، بداية من عددها الثاني لسنة ١٩٣٠.

(١١) مقالات مختلفة

وللشابى، فضلاً عن ذلك كله، مجموعة كبيرة من المقالات والدراسات المختلفة. تناول فيها شؤون الادب العربى قديمه وحديثه على السواء. وقد نشر بعضاً منها فى حياته ولا يزال بعضها الآخر مغموراً في احضان الاهمال والتقصير.

والمقالات التي نشرها كثيرة في عددها، رائعة في اسلوبها، دقيقة في بحثها وموضوعها. وقد اثبتت في قسم المختارات نماذج منوعة منها، ارجو ان يجد فيها القارىء بعض ما يعينه على فهم شخصية الشابى وتحديد اتجاهاته الادبية.

وبالاضافة الى ذلك اذكر بصورة خاصة المباحث والمقالات التالية:

(١) دراسة مستفيضة عن التيارات المعاصرة في الأدب العربى، وعن الصراع القائم بين المحافظين والمجددين. وقد كتبها كمقدمة لديوان الينبوع للشاعر الدكتور احمد زكي ابو شادي.

---

(١) من تعقيب للاستاذ محمد بو رقمة، منشور في مجلة الثريا التونسيه سنة ٧ عدد ٤١ ص ٤ نيسان ١٩٥٠.

(٢) مقال بعنوان : الفنون والنفس العربية . وهو منشور بمجلة المباحث التونسية ، العدد الاول من السلسلة الاولى سنة ١٩٣٨ .

(٣) مقال بعنوان : روح ثائرة ، وهو منشور بمجلة العالم الادبي عدد ٨ سنة ٣ نيسان ١٩٣٢ .

ذلك هو انتاج ابي القاسم الادبي خلال عمره القصير ، وتلك هي مؤلفاته التي عرفها اصدقاؤه وزملاؤه اثناء حياته وبعد موته . واكثر هذه المؤلفات مجهول مصيرها اليوم . كما ان بعض الادباء التونسيين المعاصرين للفقيد يعتقدون بوجود آثار ادبية اخرى ، غير تلك التي تحدثت عنها . وهم يظنون انها لا تزال باقية في ما خلفه من تراث ادبي عند اهله واقاربه .

ومن المؤسف حقاً ان يلاقي الشابي هذا الاهمال الفظيع بعد موته ، سيما من اقرب الناس اليه وألصقهم به في حياته ، ممن كانت تربطه بهم روابط الدم او الاخاء والود الشديدين .

وحتى اليوم ، وبعد مضي اكثر من سبعة عشر عاماً على وفاته ، فان مخلفاته الادبية لا تزال مغمورة في احضان النسيان والاهمال . وان اخوف ما اخافه ، ان يكون بعضها قد اصبح اليوم في اعماق الفناء ، او سائراً في طريقه اليه . وتلك خاتمة أليمة محزنة ، ستتم معها ـ ان حدثت ـ الحلقة الاخيرة من مأساة هذا الشاعر المنكوب .

والغريب في الامر ان كثيراً من ادباء تونس ممن كانت تربطهم بالفقيد روابط الود والصداقة العميقة ، وآخرين من المعجبين به والمقدرين لشاعريته

وادبه ، يؤلفون ـ كل سنة تقريباً ـ لجنة ادبية تقيم حفلاً تذكارياً ، لمناسبة مرور « كذا » من السنين على وفاته او ميلاده . فيخطبون بحماسة ، ويتحدثون عن شاعريته ونبوغه باكبار واجلال بالغين .!! ثم ينتهي الاحتفال وينتهي معه كل شيء كأن ذلك فقط هو كل ما يجب عليهم ان يقوموا به تجاه الشابي ، وكأن ذلك فقط هو كل ما تحتمه عليهم قداسة الذكرى ، وحرمة الروابط التي كانت تصل بعضهم بالفقيد .

إن تمجيد الشابي او الاشادة بـه ، لا يتم على وجهه الاكمل الأصح ، إلا بنشر مؤلفاته بين الناس . وفي ذلك اكبر ما يسدى من جهد وتقدير ، لا للشابي فحسب ، بل وللشعب الذي ينتسب اليه ، وللادب العربي الذي عاش له وضحى بحياته في سبيله .

ألا ليتهم يسمعون هذا النداء ، ويلبونه مسرعين ! !

خاتمـــة

انني لم اتعرض في الفصول السابقـة ، لتحليل شعر الشابي وفك معانيه واسراره . انما بسطت القول ـ بقدر الامكان ـ في كثير من الجوانب المتصلة به ، والعوامل التى كان لها اثر واضح في طبعه بطابع معين ، وتوجيهه هـــذا الاتجاه بالذات .

وان اية محاولة لتفكيك معاني هذا الشعر ، وتحويل صوره وانغامه الى صور من النثر وقوالب جديدة من الكلام ، انمـا هي تشويه له ومسخ لا يرضاه أي ذوق حريص على هذا الجمال المـاليء اجواء شعره ، وهذه الانغـام المتموجة في آفاقه ورحابه . ولئن حاولت في بعض الفصـول تحليل بعض المعاني ، واظهـار بعض الصور ، وفك بعض الانغام ، فانما هي محاولة قد يوافقني القارىء ، على انه كان من الافضل عدم القيام بها . لذلك فأنـــا اترك القارىء امام هذا الشعر ، ليحلق في اجوائه وحده ، وليستشف بكل خفايا نفسه واعصاب قلبـه وصفاء وجدانه ، كل ما ينطوي عليـه هذا الشعر من عوالم ورموز ، وكل ما يحويه من تجارب وانفعالات. وحسبي ان اقدم له اكبر مجموعة من شعر الشابي نشرت حتى الآن ، والى جانبها بضعة فصول من جيد نثره . وبذلك أتيح للقارىء آفاقاً اوسع

مما اتيح له حتى الآن ، ليستطيع ان يدرك بنفسه الكثير من مزايا ادب الشابي ، وخصائص شعره ، وجوانب شخصيته الفذة العجيبة .

ولا اشك لحظة ، في ان القارىء قد ادرك من خلال الفصول السابقة ، ان الشابي كان من جند الطليعة القليلين ، الذين تكبدوا وحدهم امر التضحيات واهول العذاب ، في سبيل الرسالة المقدسة ، والعمل النافع لامتهم . فلقد حمل الشابي لواء التجديد في الأدب . كما حمل المرحوم الدكتور محمد علي (١) ، لواء الاصلاح الاقتصادي ، والدفاع عن الطبقات العاملة المضطهدة . والى جانبهما ، كان المرحوم الطاهر الحداد (٢) ، قد بذل حياته العزيزة ، يوم تقدم وحده الى ساحة النضال وحمل بشجاعة نادرة لواء الاصلاح الاجتماعي بدعوته الجريئة الصادقة ، الى تحرير المرأة والنهوض بها ، تمهيداً لمساواتها بالرجل مساواة كاملة غير منقوصة . كذلك نرى فريقاً آخر من المناضلين الاحرار قد حمل وحده لواء الاصلاح السياسي ، والنهوض بالشعب من جموده وركوده ، ودفعه الى معمعة الحياة ، ليكافح في سبيل حقه فيها ، وليناضل عن استقلاله الفقيد وحريته الضائعة .

وقد اتخذ هؤلاء المصلحون الاخيار ، ـ كل في حقله الخاص ـ سبيل التجديد ، واستعملوا اساليب فتية مستحدثة ، لا عهد لسابقيهم بمثلها . فيها القوة والايمان ، والحيوية والعزم ، والثبات والجد ، والتضحية والفداء . وان اي عمل

(١) هو رائد العمال التونسيين اليوم ، في نضالهم التحرري الشاق .

(٢) هو حبيب الشعب ونصير المرأة . وقد ذهب ضحية الجحود والرجعية سنة ١٩٣٥ — طالع حياته ونضاله الفكري والاجتماعي في كتاب « عبقرية الحداد » الذي سأنشره عنه قريباً .

مقدس جليل ، من اعمال البشرية ، كان خالياً من واحد من تلك المثل جميعاً ، لمحكوم عليه سلفاً بالفشل والاندحار ،

وما كان طريق المجد ـ في يوم من ايام التاريخ ـ مفروشاً بالازهار والورود. ولا كان للانسانية في تاريخها الطويل ، ان تخطوا الى الامام شبراً واحداً دون آلام وضحايا .

وما كان لقائد ان يكسب معركة في حرب ، او ينال نصراً في قتال دون خسارة في جنده ، وتضحيات في عدده وعتاده .

وما كانت جراحات الشابي . وآلامه لشعبه ولنفسه ، إلا تلك التضحيات الجبارة والخسائر الجسيمة ، التي هي طريق المجد ، ودرب العبقرية الباهرة ، والخلود المنتصر .

وها هي تلك الجهود الرائعة ، التي بذلها الشابي في حياته ، وبذرها رفاقه (من جند الطليعة) في مناحي الحياة الاخرى ، وسقوها جميعاً بدمائهم وتضحياتهم ، ها هي اليوم تمد ظلالها الوارفة على حياة الشعب التونسي ، وتخلق منه قوة جبارة واعية ، تعمل للخلاص في كل حقل من حقول الحياة ، وتشيد بناء المجتمع الجديد المنتظر ، في كل ركن من اركان الوطن .

وان تلك الصور الرائعة للمجتمع السعيد ، الذي كان يعمل له الشابي ورفاقه من جند الطليعة . والتي كانوا يرسمونها في احلامهم وآمالهم ، ثم يفتحون اعينهم فلا يجدون منها شيئاً في بيئتهم ، ها هي قد بدأت تتحقق اليوم مرحلة فمرحلة . بفضل البذور الزكية ، والجهود الفعالة ، التي بذلوها بأيمان واخلاص .

وليت الشابي ، يعلم اليوم في عالمه السرمدي ذاك ، اننا نمشي بخطى جبارة ، صوب ذلك الامل الجسور ، الذي كان يسعى جاهداً لتحقيقه ، ويحترق في اتون العبقرية والايمان ، ليضيء الى شعبه طريق الحياة الظافرة اليه ، وليجعل من مجتمعه مجتمعاً يفيض بالمحبة والخير ، ويزخر بالوان الجمال وصور السعادة .

ليته يعلم اننا نسعى جاهدين ، في سبيل تلك الاماني والاحلام ، التي خاطب بها احد اصدقائه مرة فقال :

« . . إن تونس لفي حاجة الى ان تتقدم بخطوات ثابتة ، في سبيل النور والزهور ،

ان تونس لفي حاجة الى ان ترفع رأسها عالياً حتى تشاهد انوار السماء وشموسها ، وحتى تُقبِّل شفتاها اضواء النجوم .

ولئن كانت تونس فقيرة الى هذا الضرب من ابنائها ، هذا الضرب الذي يحن الى ان يعيش عيشة كلها حق ولذة وجمال ، وكلها احساس وشعور وعواطف ، ان كانت تونس فقيرة الى هذا النوع من ابنائها ، ليجب على النفر القليل منهم ان يبذلوا كل ما في جهدهم من عزم وقوة ، وحمية وشباب ، حتى يستطيعوا ان يكونوا نشأ حياً مخلصاً ، شاعراً بواجبه لامته وللحياة وللوجود . وان يخلقوا في الواقع ذلك الوسط الحي الجميل ، الذي نتصوره في احلامنا ، ثم نلتفت فلا نلمح له اثراً ! » ،

أي نعم ! إن تونس لمحتاجة الى أبنائها ، وانهم لفي حاجة اليها ، وها هم ابناؤها اليوم ، يسيرون في طريقك مستضيئين بنورك ، مترنمين بأناشيدك ، في

جميع مواكبهم وافراحهم ، في كل نضالهم وتضحياتهم . وهم بذلك جد سعداء إذ يموتون في سبيل شعبهم ، وفي سبيل تلك المثل السماوية الساحرة ، التي عشت لها وتغنيت بقداستها وجمالها . وذلك ما يزيدنا ايماناً بأنك قائد جسور ، ومصلح خطير . وبأنك خالد في ضمير الشعب وذاكرة الاجيال ! !

وانك اذ تعيش اليوم في فجر الجمال السرمدي ، وتطير مجنحاً في آفاق صباحك الجديد الخالد ، فاننا لنحيا في فجر جديد من الحياة ، ملؤه النور والايمان ، وكلُّه كفاح ونضال ، كفاح تغمره الغبطة ، ونضال يفيض بالرضى والاطمئنان . !

فلتعش في كونك العلوي ذاك ، ولتسعد به ، وليسعد بك ، ولتطمئن الى ان حبيبتك الجميلة الساحرة - تونس الخالدة - قد غدت تتيه فخراً ، وترفع رأسها في كبرياء وعظمة ، لكـــثرة عشاقها من ابنائها ، المتفانين في هواها ، المتساقطين صرعى عند اقدامها ، الباذلين الدماء والارواح في سبيل تحريرها من كل الاغلال وجميع القيود .

اي ابا القاسم !

لقد تجاهلك قومك وهم بعد نيام ، فكللوا هامتك بالشوك وتوجوا رأسك بالعوسج ، فتأوهت وتألمت ، ثم مضيت الى دنيا لا شر فيها ولا فساد ، ولا نكران ولا عقوق . وها انت ذا تنظر اليهم اليـوم من عالمك البعيد ، وتشرف عليهم من عليائك الخالدة ، فتراهم وقد نهضوا مسرعين ، وتوثبوا الى العمل والى البنـــاء ، وتسابقوا للتضحيـة والفداء . وان رؤيتهم في هذه الالوان من الكفاح ، والصور من الحياة ، لتبعث في النفوس الرضى والاطمئنان والثقة والامل ، في مصير هذا

الشعب المناضل الكريم !

وان قومك اذ ينهضون للحيـــاة ويتسابقون في الكفاح ، فانما ذلك ثمرة غرسك، ونتاج عملك، فهو منك وسيكون خالداً باسمك مدى الازمان والاجيال.

انظر هوذا شعرك على افواه قومك اغاني واهازيـج ، واسمك في كل لسان وبكل مكان . وسيأتي ذلك اليوم الذي ترى فيـــه قومك يوفونك حقك من الاكبار والتقدير ، فينشرون آثارك بين الناس في طبع فاخر عزيز ، وتقام لك التماثيل في كل مدينة من وطنك ، ويجعلون اسمك بدء حياة جديدة ، وعنوان فخار مستديم . وان هذا لقليل من كثير مما تستحقه ويجب لك . واني لمؤمن اشد الايمان بان هذا اليوم قريب ، وقريب جداً .

فلتتعالى سامياً بين آفاق الخلود ، في دنياك وفي اخراك . ولتبارك من عالمك السرمدي المقدس ، آمال شعبك ، ويقظة امتك . . ! !

مختارات

من

أغاني الحياة

القسم الاول

﴿ ما قبل العشرين ﴾

... ما الشعر الا فضاء يرف فيه مقالي
قـــيا يسر بـلادي وما يسر المعالي

« شعري »

شعري

شعري نفاثة قلـــبي إن جاش فيه شعوري
لولاه ما انجاب عني غيم الحيـاة الخطـير
ولا وجـدت اكتئابي ولا وجدت سروري
به تراني حزينـــاً ابكي بدمـع غزير
به تراني فروحـــاً أجرُّ ذيل حبـوري

✡✡✡

لا انظم الشعر ارجـو به رضـاء الامـير !
بمدحة او رثـــاء تهدى لرب السرير !
حسبي اذا قلت شعراً ان يرتضيه ضميري !!

✡✡✡

ما الشعر الا فضـاء يرف فيـــه مقالي
فيما يسر بـــلادي وما يسر المعـالي !!

وما يثير شعوري من خافقات خيالي

✡✡✡

لا اقرض الشعر أبغي به اقتناص نوال
الشعر ان لم يكن في جماله ذا جلال
فانما هو طيف يسعى بوادي الضلال
يقضي الحياة طريداً في ذلة ، واعتزال

انا تونس الجميلة في لج الهوى قد سبحت اي سباحة

« تونس الجميلة »

تونس الجميلة

لست ابكي لعسف ليل طويل ... او لربع غدا العفاء مراحه
انما عبرتي لخطب ثقيل ... قد عرانا ، ولم نجد من ازاحه :
كلما قام في البلاد خطيب ... موقظ شعبه ، يريد صلاحه
اخمدوا صوته الألهي بالعسـ ... ـف ، اماتوا صداحه ونواحه
البسوا روحه قميص اضطهاد ... فاتك ، شائك ، يرد جماحه
وتوخوا طرائق العسف والار ... هاق معه ، وما توخوا السماحه
هكذا المصلحون في كل صوب ... رشقات الردى اليهم متاحه
غير انا تناوبتنا الرزايا ... واستبيح الحمى واي استباحه

✡✡✡

أنا يا تونس الجميلة ، في لج ... الهوى قد سبحت اي سباحه
شرعتي حبك العميق ، واني ... قد تذوقت مره وقراحه !
لا أبالي . . . وان اريقت دمائي ... فدماء العشاق دوماً مباحة !!

✡✡✡

ان ذا عصر ظلمة غير اني ... من وراء الظلام شمت صباحه
ضيع الدهر مجد شعبي ولكن ... سترد الحياة يوماً وشاحه . !

زئير العاصفة

ارى المجد معصوب الجبين مجدلا
على حسك الآلام يغمره الدم
وقد كان وضاح الاسارير باسماً
يخف الى الجلى ولا يتبرم
ألا ايها الظلم المصعر خده
رويدك ان الدهر يبني ويهدم !
أغرك ان الشعب مغض على قذى
لك الويل من يوم به الشر قشعم !
سيثأر للعز المحطم تاجه
رجال ، اذا جاش الردى فهم هم !
رجال يرون الذل عاراً وسبة
ولا يرهبون الموت والموت مقدم !
وهل تعتلي الا نفوس ابية
تصدع اغلال الهوان وتفصم !

الا ان احـــلام البـلاد دفينـة

تجمجم في اعماقهـــا ما تجمجم

ولكن سيـأتي بعـد لأي نشورهـا

وينبثق اليـــوم الذي يـــترنم !

هو الحق يبقى راكداً ، فاذا طغى

بأعماقه السخط العصوف يدمدم !

وينحط ، كالصخر الاصم اذا هوى

على هـام اصنـام العتو ، فيحطم !

✡✡✡

اذا صعق الجبـار تحت قيـــوده

سيعلم أوجـاع الحيـاة ويفهـم !!

الحرب

هل الحروب سوى وحشية نهضت
في انفس الناس فانقادت لها الدول
فأيقظت في قلوب النـاس عاصفة
فاسودت الشمس واربدت لها السبل
فالدهر منتعل بالنـــار ، ملتحف
من المـــآثم والأيـــام تشتعل !
والأرض دامية ، والـكأس حامية
والشر ـ يخفق في آفاقها ـ ثمل !!
والموت يسبح في موج الضجيج فلا
يبقى ، ويخطف من قد خانه الأجل
وفي المهـــامـه اشـلاء ممزقـة
تتلو على القفر شعراً ليس ينتحل
تثير في النفس احزاناً يرث لهـــا
فم الفؤاد بتغريـــد ، فتنهمل

لعلعة الحق

يقولون : صوت المستذلين خافت
وسمع طواغيت التجبر أصخم (١)
وفي صيحة الشعب المسخر .. زعزع
تخر له شُمُ العروش ، وتهدم !
ولعلعة الحق الغضوب لها صدى
ودمدمة الحرب الضروس لها فم
اذا التف حول الحق قوم ، فانه
يصرم احداث الزمان ، ويبرم !

---

(١) أصخم : اصم .

في الظلام

رفرفت في دجية الليل الحزين زفرة الاحلام
فوق سرب من غمامات الشجون ملؤها الآلام

✡✡✡

كنت إذ ذاك على ثوب السكون انثر الاحزان
والهوى يسكب اصداء المنون في فؤاد فان

✡✡✡

ساكناً مثل جميع الكائنات ... راكد الالحان
هائماً قلبي باعماق الحياة تائهاً حيران

✡✡✡

ان للحب على الناس يدا تقصف الاعمار
وله فجر على طول المدى ساطع الانوار

✡✡✡

ثورة الشعر ، واحلام السلام وجمال النور
وابتسام الفجر في حزن الظلام في العيون الحور

الزنبقة الذابلة

أزنبقة السفح ! مالي أراكِ
تساورك اللوعة القاسية ؟
أفي قلبك الغض صوت اللهيب
يرتل انشودة ... الهاوية ؟

* * *

أأسمعك الليل ندب القلوب
وأرشفك الفجر كأس الأسى
أصب عليك شعاع الغروب
نجيع الحياة ، ودمع المسآ ؟

* * *

أأوقفك الدهر حيث يفجر ...
نوح الحياة صدوع الصدور
وينبثق الليل طيفاً كئيباً
رهيباً ويخفق حزن الدهور !!؟

اذا أضجرتك أغاني الظلام فقد عذبتني أغاني الوجوم !!
وان هجرتك بنات الغيوم فقد لزمتني فتاة الجحيم !!

* * *

وان سكب الدهر في مسمعيك نحيب الدجى ، وأنين الألم !!:
فقد أجج الدهر في مهجتي شواظاً من الحزن المشتعل

* * *

وان قبلتك شفاه الحياة وصبت بفيك الرضاب المرير
فقد صفعت مهجتي الدامية بنعل الشتاء اكف الدهور

* * *

أصيخي ، فما بين أعشار قلبي يرف صدى نوحك الخافت
معيداً على مهجتي بخفق جناحيه همس الردى الصامت

* * *

فقد أترع الليل بالحب كأسي وشعشعه بلهيب الحياة
وجرعني من ثمالاته مرارة شجو تفت الصفاة

* * *

إلىّ فقد وحدت بيننا قساوة هذا الزمان الظلوم
فقد فجرت فيّ هذي الكلوم كما فجرت فيك تلك الكلوم

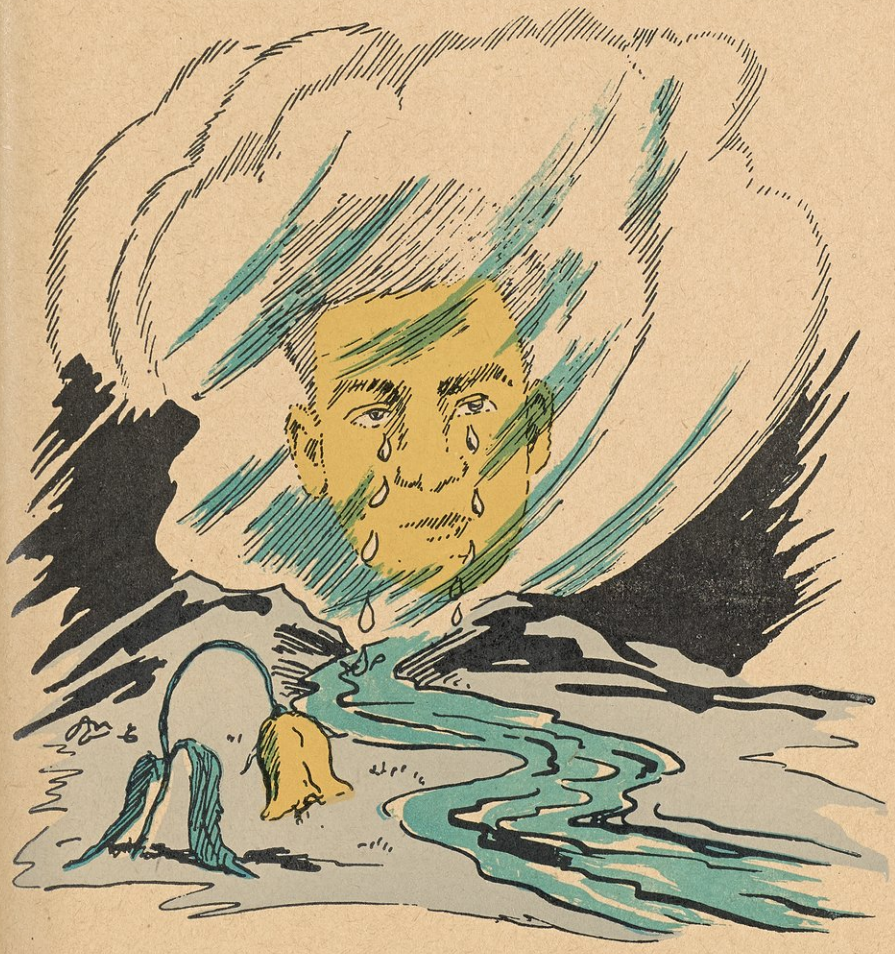

وسقتني من التعاسة اكوا

بأ تجرعتها ، فيا شد تعسي ؟

« الدموع »

الدموع

ينقضي العيش بين شوق ويأس ... والمنى بين لوعة وتأسي
هكذا سنة الحياة ، ونفسي ... لا تروم الرحيق في كأس رجس
ملىء الدهر بالخداع ، فكم قد ... ضلل الناس من إمام وقس !
كلما أسأل الحياة عن الحق ، ... تكف الحياة عن كل همس
لم أجد في الحياة نغماً بديعاً ... يستبيني سوى سكينة نفسي
فسئمت الحياة ، الا غراراً ... تتلاشى به اناشيد يأسي

* * *

حجبت شقوة الدهور على جفني ... شعاع الرجاء من قبل رمسي
ناولتني الحياة كأساً دهاقاً ... بالأماني ، فما تناولت كأسي
وسقتني من التعاسة اكوا ... باً تجرعتها ، فيا شد تعسي !
إن في روضة الحياة لأشوا ... كاً ، بها مزقت زنابق نفسي

* * *

ضاع أمسي ! وأين مني أمسي ! ... وقضى الدهر ان اعيش بيأسي !

وقضى القلب في سكون مريع ساعة الموت ، بين سخط وبؤس
لم تبق ليَ الحياة من الأمـ ـس سوى لوعة تهب وترسي !
تتهادى ما بين غصات قلبي بسكون ، وبين اوجاع نفسي
كخيال من عـالم الموت نسا ب بصمت، ما بين رمس ورمس

* * *

تلك اوجـاع مهجة عذبتها في جحيم الحياة اطياف نحس
تلك احلام غور روح كئيب كره العيش : من نعيم وبؤس

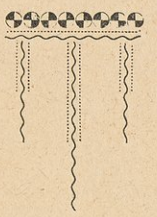

اغنية الأحزان

حطمت كف الاسى قيثارتي
في يد الاحلام
فقضت صمتاً أناشيد الغرام
بين ازهار الخريف الذاويه
وتلاشت في سكون الاكتئاب
كصدى الغريد

* *

كف عن تلك الاغاني الباسمة
ايها العصفور
فحياتي الفت لحن الأسى
من زمان قد تقضى ، وعسى
ان يثير الشدو ، في صمت الفؤاد
أنة الأوتار

* *

لا تغنيني اغاريد الصباح
بلبل الافراح !
ففؤادي وهو مغمور الجراح
بتباريح الحيـــاة الباكيه
ليس تستهويه ألحان السرور
واغاني النور

* *

إن من اصغى الى صوت المنون ،
وصدى الاجداث ،
ليس تستهويه ألحان الطيور ،
بين ازهار الربيع الساحرة ،
وابتسامات الحياة السافرة
عن جلال الله !

* *

غنني يا طير ! أنات الجحيم ،
واسقني الآلام
واترع الكأس ، بأوجاع الحياة ،
واسقني ، اني كرهت الابتسام ،
غنني ، ندب الاماني ، الخائبة ،
والليالي السود ،

غنني ، صوت الظلام ، المكتئب ،
انني اهواه ،
هاك كأس القلب، فاترعه نواح،
واسكب الحزن به، حتى الصباح،
إنه من طينـــة الحزن المرير
صاغه الخلاق

* *

بئست الافراح .. افراح الحياة
إنهـا أحلام
تخلب اللب بالحان عِـذاب
واغاريد كأملاك السمـــا
ثم لا تلبث أن تذوي كمـا
تذبل الازهار

نظرة في الحياة

إن الحياة صراعٌ فيها الضعيف يداسْ
ما فاز في ماضغيها إلا شديد المراس
للحب فيها شجون فكن فتى الاحتراس
الكون كون شقاء الكون كون التباس
الكون كون اختلاق وضجة واختلاس
سيان عندي فيه السرور ؛ والأبتئاس

* * *

بين النوائب بون للناس فيه مزايا
البعض لم يدر إلا البلا ينادي البلايا
والبعض ما ذاق منها سوى حقير الرزايا
إن الحياة سبات سينقضي بالمنايا
وما الرؤى فيه إلا آمالنا ، والخطايا
فان تيقظ كانت بين الجفون بقايا

* * *

ان السكينـــة روح في الليل ليست نظام
والروح شعـلة نور من فوق كل نظـام
لا تنطفي برياح الـ إرهـاق أو بالحسام
بل قـد يعج لظاها سيلاً ، ويطغى الضرام
كل البلايا ... جميعاً تفنى ويحيا السلام !
والذل سبة عـار لا يرتضيه الكرام !

* * *

الفجر يسطع بعـد الـ دجى ، ويأتي الضيآ
ويرقد الليـــل قسراً على مهـاد الصفآ
وللشعوب حياة حيناً وطوراً فنآ
اليأس موت ولكن موت يثـــير الشقآ
والجـد للشعب روح تومي اليه الهنآ
فان تولت تصدت حيـاته للبـلا

مأتم القلب

ليت شعري !
أي طير
يسمع الاحزان تبكي بين احشاء الكئيب
ثم لا يتلو على الفجر أغاريد النحيب
بخشوع واكتئاب ؟

•

لست ادري
اي قسر
أخرس الغريد عني ؟ أترى مات الشعور
في جميع الكون حتى في حشاشات الطيور
أم بكى خلف الحجاب ؟

•

في الدياجي
كم أناجي
مسمع القـــبر بغصات نحيبي وشجوني

ثم اصغي ، علني اسمع ترديـــد أنيني
فأرى صوتي فريد

•

فأنادي
يا فؤادي !
مات من تهوى وهذا اللحد قد ضم الحبيب
فابك يا قلب ! بما فيك من الحب الكئيب
أبك يا قلب ! وحيد

•

مات حبي
مات قلبي
فاذرفي يا مقلة الليل الدراري عـــبرات
فوق قلبي ، فهو قـــد ودع اوجاع الحياة
بعد ان ذاق اللهيب

•

واندبيه ،
واغسليه ،
بدموع الفجر من أكواب زهر الزنبق
وادفنيه بجـــلال في ضفاف الشفق
لـيرى روح الحبيب

الأمل والقنوط

ضعف العزيمة لحـــد في سكينته
تقضي الحياة، بنـاه اليأس والوجلُ
وفي العزيمـــة قوات مسخرةٌ
يخرُّ دون مداهـــا الشامخ الجبلُ
والناس شخصان: ذا يسعى به قدمٌ
من القنوط، وذا يسعى به الأملُ
هذا الى الموت، والأجداث ساخرة
وذا إلى المجد، والآمال تتصلُ
ما كلّ فعلٍ يجلُّ الناس فاعله
مجداً، ولا كلّ من خاض الدجى بطلُ
المجد صنفان: صنفٌ في تمايله
لحن الخلود، وصنفٌ فوقه الخبلُ
ما المجد إلا ابتسامات يفيض بها
فمُ الزمان إذا ما انسدَّت الحيلُ
وليس بالمجد ما تشقى الحياة به
ويحسد اليوم أمسا ضمَّه الأزلُ

شكوى اليتيم

على ساحل البحر ، أين يضج صراخ الصباح ، ونوح المسا
تنهدتُ من مهجةٍ أترعتْ بدمع الشقاء ، وشوك الأسى

فضاع التنهد في الضجة
بما في ثناياه من لوعة
فسرت وناديت يا امُّ ! هيا
اليّ ! فقد سئمتني الحياة

•

وجئتُ الى الغاب ، اسكب اوجاع قلبي ، نحيباً كلفح اللهيب
نحيباً ترقرق في مهجتي وسال يرن بندب القلوب

فلم يفهم الغاب اشجانه
وظل يردد ألحانه
فسرتُ ، وناديت يا امُّ هيا
اليّ ! فقد عذبتني الحياة

وقفت على النهر أهرق دمعاً تفجر من فيض حزني الأليم
يسير بصمت ، على وجنتيّ ويلمع مثل دموع الجحيم
فما خفف النهر من عدوه
ولا سكت النهر عن شدوه
فسرت ، وناديت يا ام هيا
الي ! فقد اضجرتني الحياة

•

ولما ندبتُ ، ولم ينفعِ وناديت أمي « فلم تسمع »
رجعت بحزني الى وحدتي ورددت نوحي على مسمعي
وعانقت في وحدتي لوعتي
وقلت لنفسي : ألا فاسكتي!

أيُّها الليل

أيُّها الليل ! يا أبا البؤس والهو ل ! ويا هيكل الزمان الرهيب !
فيك تجثو عرائسُ الامل العذ ب ، تصلّي بصوتها المحبوب
فيثير النشيد ذكرى حيـاةٍ حجبتها غيوم دهرٍ كئيب
وترفُّ الشجون من حول قلبي بسكونٍ وهيبـةٍ وقطوب
أنت يا ليل ! ذرة صعدت للكون من موطىء الجحيم الغضوب
أيُّها الليل ، أنت نغمٌ شجيّ في شفاه الدهور ، بين النحيب
إن أنشودة السكون التي ترتجُّ في صوتك الركود الرحيب
تسمع النفس في هدوء الاماني رنة الحق ، والجمالِ الخلوب
فتصوغ القلوب منها أغاريـد تهزُّ الحياة هزّ الخطوب
تتلوّى الحيـاة من ألم البؤسِ ، وتبكي بلوعـةٍ ونحيب
وعلى مسمعيك تنهل نوحاً وعويلاً مّراً شجون القلوب
فأرى بريقـاً شفوفـاً من الاو جاع ، يلقى عليكِ شجو الكروب
وأرى في السكون أجنحة الجـ ـبّار ، مخضلّة بدمعٍ صبيب

فلـــك الله ! من فوادٍ رحيم ولـــك الله من فؤادٍ كئيب
يهجع الكون في طمأنينة العصفور ، طفلاً بصدرك الغريب
وبأحضانك الخفوقـــة يستيقظ في نضرة الضحوك الطروب
شادياً كالطيور بالأمل العذب ، جميلاً كبهجـــة الشؤبوب
يا ظلام الحياة ! يا روعة الحزن ! ويا معزف التّعيس الغريب !
إنّ في قلبـــك الكئيب لمرتاداً لأحـــلام كلّ قلبٍ كئيب
وبقيثارة السكينـــة في كفيّك تنهـــلُّ رنّةُ المكروب
فيك تنمو زنابق الحُلم العذب ، وتذوي لدى لهيب الخطوب
خلف أعماقك الكئيبة تنسابُ ظلالُ الدهور ذات القطوب
وبفوديك في ضفائرك السود تـــدبُّ الأيام أيّ دبيب

* * *

صاح ! إنّ الحيـــاة أنشودة الحزن ، فرتّلْ على الحياة نحيبي
إنّ كأس الحياة مترعة بالدّمع ، فاسكبْ على الحيـــاة صبيبي
إنّ وادي الظلام يطفح بالهول ، فما أبعد ابتسام القلوب !
لا يغرّنّك ابتسام بني الارض ، فخلف الشعاع لذع اللهيب
أنت تدري أن الحياة قطوبٌ وخطوبٌ ، فما حياةُ القطوب ؟
إنّ في غيبة الدهور ، ثباعـــاً ، لخطيبٌ يمرُّ إثر خطيب

* * *

سدّدتْ في سكينة السكون للأعماق نفسي لحظاً بعيد الرسوب

نظرة مزقتْ شغاف الليـــالي فرأتْ مهجة الظلام الهيوبِ
ورأتْ في صميمها لوعة الحزن ، واصغت الى صراخ القلوب
لا تحاولْ أن تنكر الشجو إني قد خبرت الحياة خبر لبيب
فتبرمت بالسكينة ، والضجة ، بل قد كرهت فيهـــا نصيبي...
كن كما شاءت السماء كئيباً أي شيء يسرّ نفس الأديب ؟
أنفوس تموت ، شاخصة بالهول ، في ظلمة القنوط العصيب ؟
أم قلوبٌ محطمات على ساحل لج الأسى ، بموج الخطوب ؟
إنما الناس في الحيـــاة طيور قد رماها القضا بوادٍ رهيب
يعصف الهول في جوانبه السود ، فيقضي على صدى العندليب

* * *

قد سألتُ الحياة عن نغمة الفجر ، وعن وجمة المساء القطوب
فسمعتُ الحياة في هيكل الأحزان تشدو بلحنهـــا المحبوب :
ما سكوت المساء إلا أنينٌ ونشيد الصباح غير نحيب
ليس في الدهر طائر يتغنىّ في ضفاف الحياة غير كئيب
خضب الأكتئاب أجنحة الأيام بالدمـــع ، والدم الاسكوب
وعجيبٌ أن يفرح الناس في كهف الليالي ، بحزنها المشبوب !

* * *

كنتُ أرنو الى الحياة بلحظٍ باسمٍ ، والرجاء دون لغوب
ذاك عهدٌ حسبته بسمة الفجر ، ولكنه شعـــاع الغروب

ذاك عهد ، كأنه رنـــة الافراح ، تنساب من فم العندليب
خفقت ريشما أصخت لها بالقلب حيناً ، وبدلت بنحيب
ان خمر الحياة وردية اللـــــــون ، ولكنها سموم القلوب

* * *

جرفتْ من قرارة القلب احلامي الى اللحد، جائرات الخطوبُ
فتلاشت على تخوم الليـالي وتهاوت الى الجحيمِ الغضوب
وثوى في دجنة النفس ومضٌ لم يزل بـين جيئةٍ وذهوب
ذكريات تميس في ظلمة القلب ، ضئالاً كرائعات المشيب

* * *

يا لقلب تجرع اللوعة المرة من جدول الزمان الرهيب !
ومضت في صميمه شعلة الحزن ، فغشته من شعاع اللهيب

الملل الأليم

سئمت الحياة وما في الحياة ... ولما تجاوزت فجر الشباب
سئمت الليالي وأوجاعهـــا ... وما شعشعت من رحيق بصاب
فحطمت كأسي ، وألقيتها ... بوادي الأسى وجحيم العذاب
فانّت وقد غمرتها الدموع ... وقرت وقد فاض منها الحباب
وألقى عليها الأسى ثوبه ... وأقبرها الصمتُ والاكتئاب
فأين الأماني وألحانها ؟ ... وأين الكؤوس ، وأين الشراب؟
لقد سحقتها أكف الظلام ... وقد رشفتها شفاه السراب
فما العيش في حومةٍ ، بأسها ... شديد ، وصداحها لا يجاب !
كئيب ، وحيد بآلامهِ ... واحلامه ، شدوه الانتحاب
ذوت في الربيع أزاهيرها ! ... فمتن وأحلامهن العذاب
لوين النحور على ذلة ... ونمْنَ ، وقد مصهن التراب
فحال الجمال ، وغاض العبير ... وأذوى الردى جفن تلك الكعاب

ايها الحب

ايها الحب انت سر بلائي وهمومي ، وروعتي ، وعنائي
ونحولي ، وادمعي ، وعذابي وسقامي ، ولوعتي ، وشقائي

*

ايها الحب انت سر وجودي وحياتي ، وعزتي ، وابائي
وشعاعي ما بين ديجور دهري وأليفي ، وقرتي ، ورجائي

*

يا سلاف الفؤاد يا سم نفسي في حياتي ، يا شدتي ، يا رخائي
ألهيبٌ يثورُ في روضة النفس فيطغى ؟ ام انت نور السماء

*

ايها الحب قد جرعتُ بك الحز ن كؤوساً وما اقتنصتُ ابتغائي
فبحق الجمال يا ايها الحـ ـب ! حنانيك بي ! وهوّن بلائي

*

ليت شعري ! بأنة القلب قل لي : من ظلام خُلقتَ ، أم من ضياء ؟
أترى أنت جنةٌ ، ام جحيمٌ ؟ لست أدري ، بل أنت كالكهرباء

فقل لي ما جدوى الحياة وكربها

وتلك التي تذوي وتلك التي تنمو ؟

« حيرة »

حيرة

ارى هيكل الأيام يعلو مشيداً
ولا بد ان يأتى على رأسه الهدم
فيصبح ما قد شيد الله للورى
خراباً كأن الكل في أمسه وهم
فقل لي ما جدوى الحياة وكربها
وتلك التي تذوي وتلك التي تنمو؟
وفوج تغذيه الحياة لبانها
وفوج غدا تحت التراب له ردم ؟
وعقل من الاضواء في رأس نابغ
وعقل من الظلماء يحمله فدم ؟!
وافئدة حسرى تذوب كآبة
وافئدة سكرى يرف لها النجم ؟
لتعس الورى شاء الاله وجودهم
فكان لهم جهل وكان لهم فهم ..

جدول الحب

« بين الامس واليوم »

بالأمس قد كانت حياتي كالسماء الباسمة
واليوم قد أمست كأعماق الكهوف الواجمة

•

قد كان لي ما بين أحلامي الجميلة جدول
يجري به ماء المحبة طاهراً يتسلسل

•

تسعى به الامواج باسمة كأحلام الصبا
بيضاء ، ناصعة ، ضحوكاً مثل ازهار الربى

•

مياسة كعرائس الفردوس بين حقوله
تتلو اناشيد الهوى في مده وقفوله

•

هو جدول الحب الذي قد كان في قلبي الخضلْ
بمراشف الأحلام - منطلقاً - يسير على مهل

•

يتلو على سمعي أغاريد الحياة الطاهره
ويثير في قلبي اناشيد الخلـود الساحره

•

تقف العذارى الخالدات... عرائس الشعر البديع
في ضفتيه ، مرددات نغمة الحلم البديـع

•

يلمسن من قيثارة الاحلام أوتار الغزل
فتفيض الحان الصبابة عذبة مثل الأمل

•

وتطير بالبسمات والانغام اجنحة الصدى
في ذلك الافق الجميل وذلك النسم الرخا

•

وهناك حيث تعانق البسمات ألحان الغزل
يتمايل الحلم الجميل ... كبسمة القلب الثمل

•

هو جدول ، قد فجرت ينبوعه في مهجتي
اجفانُ فاتنة أرتنيها الحياة لشقوتي

•

اجفانُ فاتنة تراءت لي على فجر الشباب
كعروسة من غانيات الشعر في شفق السحاب

•

ثم اختفت خلف السماء وراء هاتيك الغيوم
حيث العذارى الخالدات يمسن ما بين النجوم

•

ثم اختفت ، أواه ! طائرة بأجنحة المنون
نحو السماء، وها أنا في الارض تمثال الشجون !

•

قد كان ذلك كله بالأمس ! بالامس البعيد
والامس قد جرفته مقهوراً يد الموت العتيد !!

•

قد كان ذلك تحت ظل الامس والماضي الجميل
قد كان ذلك في شعاع البدر من قبل الافول

•

واليوم اذ زالت ظلال الامس عن زهري البديع
وتجلبب الزهر الجميل بظلمة الليل المريع

•

ذبلت مراشفه ، فأصبح ذاوياً ، نضو الكلوم
وهوى لان الليل أسمعه اناشيد الوجوم

•

بالامس قد كانت حياتي كالسماء الباسمه
واليوم قد امست كاعماق الكهوف الواجمه

•

إذ اصبح النبع الجميل يسير في وادي الألم
متعثراً بين الصخور يغور في تلك الظلم

•

جفت به امواج ذياك الغرام الآفل
فتدفقت فيه الدموع بصوبها المتهاطل

•

قد حجبته غيوم احزان الوجود القاتمة
قد أخرسته مرارة القلب التعيس الظالمة

•

جمدت على شفتيه انغام الصبابة والهوى
وقضت اغاني الحب في اعماقه لمّا هوى

•

وغدت به الامواج جامدة الملامح قائمه
قد اسكنتها لوعة الروح الحزين الواجمه

•

غاضت أمانيها وغار بها الجمال الساحر
فاصابها ـ لهفاً عليه ـ الاكتئاب الكافر

•

في ضفتيه عرائس الاشعار تنصب مأتماً
يهرقن فيه الدمع ، حتى يلطم الدمع الدما

•

فيسيل الدمع الدامي لقلب الجدول
حيث المرارة والاسى بين الزهور الذبل

•

وينحن حتى يفعم الآفاق صوت الانتحاب
فتسير أصداء النياحة نحو أطباق الضباب

•

وهناك ما بين الضباب الأقتم الساجي الكئيب
تهتز آلامي وتختلج الكآبة ، والنحيب

نشوة الرعد

في سكون الليـــل لما عانق الليـــل الخشوع
واختفى صوت الأمـاني خلف آفـاق الهجوع

رتل الرعـد نشيـداً رددتـه الـكائنـات
مثل صوت الحق ان صـا ح باعماق الحيـاة

يتهـادي بضجيج في خلايا الاودية
مثل جبـار من الحـق بأقصى الهاويـة

وسألت الليل والليـ ل كئيب ورهيب
شاخصاً بالليل والليـ ل جميل وغريب

أترى انشودة الرعـ ـد انين وحنين
رنمتها بخشوع مهجة الكون الحزين ؟

ام هي القوة تسعى باعتساف واصطخاب
يتراءى في ثنايـا صوتها روح العذاب ؟

غير ان الليل قد ظـ ـل ركوداً جامداً
صامتاً مثل غدير الـ قفر من دون صدى

يا شعر

يا شعر أنت فم الشعور وصرخة الروح الكئيب
يا شعر ! أنت صدى نحيب القلب، والصب الغريب

يا شعر ! أنت مدامع علقت بأهداب الحياة
يا شعر ! أنت دمٌ تفجَّر من كلوم الكائنات

يا شعر ! قلبي - مثلما تدري - شقيٌّ مظلمُ
فيه الجراح النجل، يقطر من مغاورها الدَّمُ

جمدت على شفتيه أرزاء الحياة العابسه
فهو التعيس ، به مرارات القلوب البائسه

أبداً ينوح بحرقةٍ بين الاماني الهاويه
كالبلبل الغريد ما بين الزهور الذاويه

كم قد نصحت له بأن يسلو ، وكم عزيته
فأبى ، وما أصغى الى قولي ، فما أجديته

كم قلت : صبراً يا فؤاد، أما تكفّ عن النحيب؟
فاذا تجلدت الحياة ، تبددت شعل اللهيب

يا قلب ! لا تجزع أمام تصلبِ الدهر الحصور
فاذا صرخت توجعاً هزئت بصرختك الدهور

يا قلب ! لا تسخط على الايام ، فالزهر البديع
يصغي لضجات العواصف قبل أنغام الربيع

يا قلب ! لا تقنع بشوك اليأس ، من بين الزهور
فوراء أوجاع الحياة عذوبة الامل الجسور

يا قلب ! لا تسكب دموعك بالفضاء فتندم
فعلى ابتسامات الفضاء قساوة لا ترحم

* * *

لكن قلبي ، وهو مخضلّ الجوانب بالدموع
جاشت به الاحزان إذ طفحت بها تلك الصدوع

يبكي على الحلم البعيد بلوعةٍ لا تنجلي
غرداً ، كصداح الهواتف في الفلا ، ويقول لي :

طهر كلومك بالدموع ، وخلّها وسبيلها
إن المدامع لا تضيع ، حقيرها وجليلها

فمن المدامع ما تدفع جارفاً حسك الحياة
يرمي لهاوية الوجود بكل أشواك الطغاة

* * *

فارحم مضاضته ونح معه على أحلامه
فلقد قضى الحلم البديع على لظى آلامه

ردّد على سمع الدجى أنات قلبي الواهيه
واسكب بأجفان الزهور دموع قلبي الداميه

فلعل قلب الليل أشفق بالقلوب الباكية !
ولعل جفن الزهر أحفظ للدموع الجارية !

كم حركت كف الاسى اوتار ذياك الحنين
فتهاملت أحزان قلبي في أغاريد الانين

ولكم أرقت مدامعي حتى تقرحت الجفون
ثم التفتُّ فلم أجد قلباً يقاسمني الشجون

فعسى يكون الليل ارحم ، فهو مثلي يندب
وعسى يصون الزهر دمعي ، فهو مثلي يسكب !

* * *

قد قنعت كف السماء الموتَ بالصمت الرهيب
فغدا كأعماق الكهوف ، بلا ضجيج أو وجيب

يأتي بأجنحة السكون كأنه الليل البهيم
لكن طيف الموت قاس ، والدجى طيف رحيم

ما للمنية لا ترق على الحياة النائحة ؟!
سيان افئدة تئن ، او القلوب الصادحة

يا شعر هل خلق المنون بلا شعور كالجماد؟
لا رعشة تعرو يديه إذا تملّقه الفؤاد؟

* * *

أرأيت ازهار الربيع وقد ذوت أوراقها
فهوت الى صدر التراب، وقد قضت أشواقها؟
أرأيت شحرور الفلا مترنماً بين الغصون
جمد النشيد بصدره لما رأى طيف المنون؟
فقضى وقد غاضت أغاريد الحياة الطاهرة
وهوى من الاغصان، ما بين الزهور الباسرة
أرأيت أمّ الطفل تبكي ذلك الطفل الوحيد
لما تناوله بعنف ساعد الموت الشديد؟
أسمعت نوح العاشق الولهان ما بين القبور
يبكي حبيبته؟ فيا لمصارع الموت الجسور!

* * *

طفحت بأعماق الوجود سكينة الصبر الجليد
لما رأى عدل الحياة يضمه اللحد الكنود
فتدفقت لحناً، يردده على سمع الدهور
صوت الحياة بضجة .. تسعى على شفة البحور

يا شعر ؟ أنت نشيد امواج الخضم الساحرة
الناصعات الباسمات ، الراقصات ، الطاهرة
السافرات ، الصادحات مع الحياة الى الابد ؟
كعرائس الأمل الضحوك يمسسن ما طال الامد

* * *

ها أن أزهار الربيع تبسمت اكمامها
ترنو الى الشفق البعيد ، تغرها أحلامها
في صدرها أملٌ يحدق نحو هاتيك النجوم
لكنه أمل ستلحده جبابرة الوجوم
فلسوف تغمض جفنها عن كل أضواء الحياة
حيث الظلام مخيم في جو ذياك السبات
ها أنها همست بآذان الحياة غريدها
فتلت عصافير الصباح صداحها ونشيدها
يا شعر ! انت نشيد هاتيك الزهور الباسمة
يا ليتني مثل الزهور بلا حياة واجمة

* * *

ان الحياة كئيبة ، مغمورة بدموعها ...
والشمس أضجرها الأسى ، في صحوها وهجوعها

فتجرعت كأساً دهاقاً من مشعشعة الشفق
فتمايلت سكرى، الى كهف الحياة.. ولم تفق
يا شعر انت نحيبها لما هوت لسباتها
يا شعر ! انت صداحها ، في موتها ، وحياتها

* * *

انظر الى شفق السماء ، يفيض عن تلك الجبال
بشعاعه الخلاب يغمرها ببسمات الجمال
فيثير في النفس الكئيبة عاصفاً لا يركد
ويؤجج القلب المعذب شعلة لا تخمد

* * *

يا شعر ! أنت جمال اضواء الغروب الساحرة
يا همس امواج المساء الباسمات الحائرة

* * *

يا شعر ! يا قيثارة الاحلام ! يا ابن صبابتي !
لولاك مت بلوعتي ، وبشقوتي ، وكآبتي
فيك انطوت نفسي ، وفيك سكبت كل مشاعري
فاصدح على قمم الحياة ، بلوعتي ، يا طائري

القسم الثاني

﴿ ما بعد العشرين ﴾

مُنَاجَاة

أنت يا شعر فـــلذة من فؤادي تتغنى ... وقطعة من وجودي !
فيك ما في جوانحي من حنين أبـــدىّ الى صميم الوجود
فيك ما في خواطري من بلاء فيك ما في عواطفي من نشيد
فيك ما في مشاعري من وجوم لا يغني ... ومن سرور عهيد
فيك ما في عوالمي من ظـلام سرمدي ؛ ومن صبـاح وليد
فيك ما في عوالمي من نجـوم ضاحكات خلف الغمام الشرود
فيك ما في عوالمي من ضبـاب وسراب ، ويقظـة ، وهجـود
فيك ما في طفولتي من سـلام وقنوع ، وغبطـــة ، وسعود
فيك ما في شبيبتي من أمـان باسمـات ، ومن غرام سعيـد
فيك ما في شبيبتي من قنـوط مدلهم ؛ وحـــيرة ؛ وجمود
فيك تشدو مع الربيع طيوري وتغـني مع الصبـاح ورودي
فيك ألقي بذور نفسي فتلفي في ثنـاياك خـير نبـع برود
فيك أجني في الصيف ما بذرت نفسي حواليك من بذور الخلود
فيك ترعى من الخريف أعاصـ يري ، وتدوي صواعقي ورعودي

فيك تذوي زهـور قلبي فتلقى ما لها من غـــدائر ، وبرود
فيك يبـدو شتاء نفسي عبوساً شاحب اللون عـاري الاملود
كللته الحيـاة بالحزن الدامي وغشته بالريـاح السود

* * *

انت يا شعر صفحة من حياتي انت يا شعر قصة من وجودي
انت ياشعر ـ ان فرحتُ ـ أغاريدي ، وان رنت الـكـآبة عودي
انت يا شعر كأس خمر جميل أتلهى بها خـــلال اللحود
أتحساه في الصباح لأنسى ما تقضّى في أمسيَ المفقود
وأناجيه في المساء ... لألهو بحمياه عن ظـــلام الوجود
انا لولاك لم أطـق عنت الده ر ، ولا فرقـة الصباح البعيد
انت ما نلتُ من كهوف الليالي وتصفحت من كتاب الخـلود
فيك ما في حقيبة الكون من عقد حصى زائف ودر نضيد
فيك ما في الوجود من حلك داج ، وما فيه من ضياء بعيد
فيك ما في الوجود من نغم حلو وما فيـــه من زئير الاسود
فيك ما في الوجود من جبل وء ر ، وما فيه من حضيض وهيد
فيك ما في الوجود من حسك يد مي ، وما فيه من غضيض الورود
فيك ما في الوجود من زهر حلو وما فيـــه من هشيم حصيد
فيك ما في الوجود من وهج الصيـ ـف وما فيـه من شتاء عتيـد
فيك ما فيه من خريف حزين فيك ما فيـه من ربيع جديد

فيك ما في الوجود حب بنوا لدنيا قصيدي أم لم يحبوا قصيدي !
فسواء على الطيـور اذا غنت هتـاف الشؤوم والمستعيـد
وسواء عـلى النجوم اذا لا حتْ هدوء الدجى وقصف الورود
وسواء على الورود أفي الغـيران فاحت أم بين نهد وجيد !

الأيمان بالحياة

ما كنت أحسب بعد موتك يا أبي ... ومشاعري عميـــاء بالأحزان
اني سأظمأ للحيـاة ، واحتسي ... من كأسها المتوهـــج النشوان
واعود للدنيـا بقلب خـافق ... للحب والأفراح والألحان
ولكل ما في الكون من صور المنى ... وغرائب الأهواء والأشجان
حتى تحركت السنون وأقبلت ... فتن الحيـاة بسحرها الفنـان
فاذا أنا طفل الحيـاة المنتشي ... شوقـــاً الى الاضواء والألوان
وإذا التشاؤم بالحيـاة ورفضها ... ضرب من البهتان والهذيـان
ان ابن آدم في قرارة نفسه ... عبد الحيـاة الصادق الايمان

الجمال المنشود

يا عذارى الجمال والحب والأحـ ـلام ، بل يا بهاء هذا الوجود
قد رأينا الشعور منسدلات كللت حسنها صِباحُ الورود !
ورأينا الخدود ضرجها السحـ ـر ! فآهاً من سحر تلك الخدود
ورأينا الشفاه تبسم عن ذو ـب يا من الورد غضة أملود !
ورأينا الجفون تبسم او تحا ـم سكرى بالشدو ؛ بالتغريد
ورأينا النهود تهتزّ كالأز ـهار في نشوة الشباب السعيد
توقظ الوجد في القلوب ولكـن ليت شعري ! ماذا وراء النهود ؟!
ما الذي خلف هذه الفتنة الغرّ ـاء في ذلك القرار البعيد ؟
أنفوس جميلة كطيور الغا ـب تشدو بمسترق النشيد
طاهرات كأنها أرج الأزها ـر في مولد الربيع الجديد !
وقلوب وضيئة كنجوم الليـ ـل ضواعة كغض الورود !
أم ظلام كأنه قطع الليـ ـل وهول يشيب رأس الوليد
وخضم يموج بالأثم والمنكـ ـر والشر والضلال المديد

صانكن الأله من ظلمة الروح ومن ضلة الضمير العنيـــد
فظلام النفوس شر ظـــلام سرمدي الاسى شنيع الخلود
يرزح القلب فيـه بالالم المر ويشقى بعيشه المنكود
ووراء الشبـاب يذبل كالأو راق في ثورة الخريف العتيد
غير باق في الكون الا جمال الرو ح غضاً على الزمان الأبيد

يا ابن امّي

خلقت طليقاً كضيف النسيم ... وحراً كنور الضحى في سماه
تغرد كالطير أين اندفعت ... وتشدو بما شاء وحي الاله
وتمرح بين ورود... الصباح ... وتنعم بالنور أنى ... تراه
وتمشي كما شئت بين المروج ... وتقطف ورد الربى في رباه
كذا صاغك الله يا ابن الوجود ... وألقتك في الكون هذي الحياه
فما لك ترضى بذل ... القيود ... وتحني لمن كبلوك الجباه ؟!
وتسكت في النفس صوت الحياة القوي اذا ما تغنى صداه
وتطبق اجفانك الناعسات ... عن الفجر والفجر عذب ضياه
وتقنع بالعيش بين الكهوف ... فأين النشيد ؟ واين الأياه ؟
أتخشى نشيد السماء الجميل ؟ ... أترهب نور السما في فضاه ؟
ألا انهض وسر في سبيل الحياة ... فمن نام لم تنتظره الحياه !!

ولا تخش مما وراء القلاع فما ثم الا الضحى في صباه
والا ربيع الوجود الغرير ... يطرز بالورود ضافي رداه !
والا أريج زهور الصباح ورف الاشعة بين المياه !!
والا حمام المروج الانيق يغرد مندفعاً في غناه !
الى النور فالنور عذب جميل الي النور فالنور ظل الاله !

الى طغاة العالم

الا أيها الظالم المستبدُ حبيب الفناء عدو الحياه
سخرتَ بأنات شعب ضعيف وكفك مخضوبة من دماه
وعشت تدنس سحر الوجود وتبذر شوك الأسى في رباه

* *

رويدك لا يخدعنك الربيعُ وصحو الفضاء وضوء الصباح
ففي الافق الرحب هول الظلام وقصف الرعود وعصف الرياح
ولا تهزأن بنوح الضعيف فمن يبذر الشوك يجن الجراح!

* *

تأمل هناك أنى حصدتَ رؤوس الورى وزهور الامل
وروَّيت بالدم قلب التراب وأشربته الدمع حتى ثمل
سيجرفك السيل سيل الدما ويأكلك العاصف المشتعل!

إرادة الحياة

إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر !!
ولا بد لليل أن ينجلي ولا بد للقيد أن ينكسر !!
ومن لم يعانقه شوق الحياة تبخر في جوها واندثر
كذلك قالت لي الكائنات وحدثني روحها المستتر

* * *

ودمدمت الريح بين الفجاج وفوق الجبال وتحت الشجر :
« إذا ما طمحت إلى غاية لبست المنى وخلعت الحذر !
ولم اتخوف وعور الشعاب ولا كبة اللهب المستعر
ومن لا يحب صعود الجبال يعش ابد الدهر بين الحفر » !
فعجت بقلبي دماء الشباب وضجت بصدري رياح أخر
وأطرقت أصغي لعزف الرياح وقصف الرعود ، ووقع المطر
وقالت لي الارض لما تساءلت يا ام هل تكرهين البشر ؟!:
« ابارك في الناس أهل الطموح ومن يستلذ ركوب الخطر !

وألعن من لأ يماشي الزمن ويقنع بالعيش عيش الحُجر !
هو الكون حي يحب الحياة ويحتقر الميت المندثر !
فلا الافق يحضن ميت الطيور ولا النحل يلثم ميت الزهر !
ولولا أمومـــة قلبي الرؤوم لفرت عن الميت تلك الحفر !
فويل لمن تشقَهْـــه الحيـا ة من لعنه العدم المنتصر » !

* * *

وفي ليله من ليالي الخريف مثقـــلة بالأسى والضجر
سكرت بها من ضياء النجوم وغنيت للنهر حتى سكر !!
سألت الدجى هل تعيد الحياة لمن أذبلته ربيـــع العمر ؟
فلم يتكلم فؤاد الظلام ولم تترنم عذارى السحر
وقال لي الغـــاب في رقـةٍ محببةٍ مثـــل خفق الوتر :
« يجيء الشتاء شتاء الضبـاب شتاء الثـــلوج شتـاء المطر
فينطفىء السحر ، سحر الغصون وسحر الثمار ، وسحر الزهر
وسحر السماء القوي البـديع وسحر المروج الشهي العطـر
وتهوى الغصون واوراقهـــا وازهار عهـــد جميل نضر
وتلهو بها الريح في كل واد ويدفنهـــا السيل انى عفر
ويفنى الجميع كحلم بديع تألق في مهجـــة واندثر
وتبقى البذور التي حملت ذخيرة عمر جميل غبر
وذكرى فصول ، ورؤيا غيوم واشباح دنيـا تلاشت زمر

معانقة وهي تحت الثلوج ... وتحت الضباب وتحت المدر
لطيف الحياة الذي لا يُمل ... وقلب الربيع الجميل العطر
وحالمة بأغاني الطيور ... وعطر الزهور ، وطعم الثمر
ويمشي الزمان ، فتنمو صروف ... وتذوي صروف ، وتحيا أخر
وتصبح احلامها يقظة ... موشحة برداء السحر
تسائل : أين ضباب الصباح ... وسحر المساء ، وضوء القمر
وأسراب ذاك الفراش الجميل ... ونحل يغني ، وغيم يمر ؟
ظمئت الى النور فوق الغصون ... ظمئت الى الظل تحت الشجر
ظمئت الى النبع بين المروج ... يغني ويرقص فوق الزهر
ظمئت الى الكون .. اين الوجود ... وأين أرى العالم المنتظر ؟!
هو النور بين رحاب الفضاء ... وفي عالم اليقظات الكبر !
وما هو الا كخفق الجنا ... ح حتى نما شوقها وانتصر !
فصّعدت الارض عن صدرها ... وابصرت النور عذب الصور !
وجاء الربيع بأطيافه ... واحلامه وصباه النضر
وقبلها قبلة في الشفاه ... تعيد الشباب الى ما غبر
وقال لها قد منحت الحياة ... وخلّدت من نسلك المدخر
ومن ناجت النور احلامُه ... يباركه النور انى ظهر !
اليك الفضاء ، اليك الضياء ... اليك الثرى الحالم المزدهر !
فميدي كما شئت فوق المروج ... بحلو الثمار ، وغض الزهر

وناجي النسيم وناجي الغيوم وناجى النجوم ، وناجي القمر
ولا تسأمي نغمات الحياة ولا فتنة العالم المعتبر » !!

* * *

وشفّ الدجى عن جمال عميق قوي الغواية ، حلو الصور
ومُدّ على الكون سحر غريب يصرفه ساحر مقتدر
وضاءت شموع نجوم السماء وضاع البخور . بخور الزهر
ورفرف روح غريب الجمال بأجنحة من ضياء القمر
ورن نشيد الحياة المقد س في هيكل حالم قد سحر
وأعلن في الكون ان الطموح حبيب الحياة وروح الظفر
إذا طمحت للحياة النفوس فلا بد ان يستجيب القدر !!

صلوات في هيكل الحب

عذبه انت كالطفولة كالأحلام كاللحن ، كالصباح الجديد !
كالسماء الضحوك، كالليلة القمراء كالورد ، كابتسام الوليد !
يا لها من طهارة تبعث التقديـ س ، في مهجة الشقي العنيد !
يا لها رقة ، يكاد يرف الور د منها في الصخرة الجلمود !
أي شيء تراك ؟ هل انت فينيـ س تهادت بين الورى من جديد؟
لتعيد الشباب والفرح المعسـ ول للعالم التعيس العميد !
ام ملاك الفردوس جاء الى الار ض ليحيي روح السلام العهيد
انت ما انت؟ انت رسم جميل عبقري من فن هذا الوجود
فيك ما فيه من غموض وعمق وجمال مقدس معبود !
انت ما انت ؟ انت فجر من الـ سحر تجلى لقلبي المعمود !
فأراه الحياة في مونق السحر وجلّى له خفايا الخلود !
انت روح الربيع تختال في الد نيا ، فتهتز رائعات الورود
وتهب الحياة سكرى من العطر ، ويدوي الوجود بالتغريد !

يا ابنة النور ! انني انا وحدي

من رأى فيك روعة المعبودي !

« صلوات في هيكل الحب »

كلما أبصرتك عيناي تمشين بخطو ، موقع كالنشيد
خفق القلب للحياة ورفّ الزهر في حقل عمري المجرود
وانتشت روحي الكئيبة بالحب وغنت كالبلبل الغريد !
أنت تحيين في فؤادي ما قد مات في أمسي السعيد الفقيد
وتشيدين في خرائب روحي ما تلاشى في عهدي المحدود
من طموح الى الجمال، الى الفن الى ذلك الفضاء البعيد
وتبثين رقة الشوق والأحلام والشجو ، والهوى في نشيدي!
بعد ان عانقت كآبة أيامي فؤادي وألجمت تغريدي
أنت أنشودة الأناشيد غنا ك اله الغناء رب القصيد !
فيك شب الشباب وشحه الـ سحر، وشدو الهوى وعطر الورود
وتراءى الجمال يرقص رقصاً قدسياً على اغاني الوجود !
وتهاوت في افق روحك اوزا ن الاغاني ، ورقة التغريد !
فتمايلت في الحياة كلحن عبقري الخيال ، حلو النشيد
خطوات سكرانة بألأناشيد وصوت كرجع ناي بعيد !
وقوام يكاد ينطق بالالحـان في كل وقفة وقعود !
كل شيء موقع فيك حتى لفتة الجيد، واهتزاز النهود !!
انت ... انت الحياة في قدسها السامي وفي سحرها الشجي الفريد !
انت ... انت الحياة في رقة الفجر وفي رونق الربيع الوليد !
انت ... انت الحياة كل أوان في رواء من الشباب جديد !

انت دنيا من الاناشيد والأحلام ، والسحر ، والخيال المريد !
انت فوق الخيال ، والشعر ، والفن ، وفوق النهى ، وفوق الحدود !
انت قدسي ومعبدي وصباحي وربيعي ، ونشوتي ، وخلودي!

* * *

يا ابنة النور انني انا وحدي من رأى فيك روعة المعبود !
فدعيني أعيش في ظلك العذب وفي قرب حسنك المعبود ؟
عيشة للجمال والفن والالهام والطهر والسنى ، والسجود !
عيشة الناسك البتول يناجي الرب في نشوة الذهول الشديد !
وامنحيني السلام والفرح الروحي ، يا ضوء فجري المنشود !
وارحميني فقد تهدمت في كون من اليأس والظلام مشيد
انقذيني من الأسى فلقد امسيت لا استطيع حمل وجودي
في شعاب الزمان والموت أمشي تحت عبء الحياة جم القيود
واماشي الورى ونفسي كالقبر ، وقلبي كالعالم المهدود !
ظلمة ما لها ختام وهول شائع في سكونها الممدود
واذا ما استخفني عبث الناس تبسمت في أسى وجمود
بسمة مرة كأني استل من الشوك ذابلات الورود !
وانفخي في مشاعري الدنيا وشدي من عزمي المجهود
وابعثي في دمي الحرارة علّي اتغنى مع المنى من جديد !
وأبث الوجود أنغام قلب بلبلي مكبل بالحديد !

فالصباح الجميل ينعش بالدفء حيـــاة المحطم المكدود !
أنقذيني فقـد سئمت ظلامي انقذيني فقد مللت ركودي

* * *

آه يا زهرتي الجميلة لو تدرين ما جدّ في فؤادي الوحيد !
في فؤادي الغريب تخلق أكوان من السحر ذات حسن فريد
وشموس وضـــاءة ونجوم تنثر النور في فضاء مـــديد
وربيع كـأنه حلم الشاعر في سكرة الشبـــاب السعيد
ورباة لا تعرف الحلك الداجي ، ولأ ثورة الخريف العتيد
وطيور سحرية تتناغى بأناشيد حلوة التغريد
وقصور كأنها الشفق المخضوب ، او طلعـــة الصباح الوليد
وغيوم رقيقـة تتهادى كـأباديد من نثار الورود
وحيـاة شعرية هي عندي صورة من حياة أهل الخلود
كل هذا يشيده سحر عينيك والهـــام حسنك المعبود !
وحرام عليك ان تهدمي ما شاده الحسن في الفؤاد العميد
وحرام عليـك ان تسحقي آمال نفس تصبو لعيش رغيد !
منك ترجو سعادة لم تجدها في حياة الورى وسحر الوجود!
فالاله العظيم لا يرجم العبد ، اذا كان في جلال السجود !

الساحرة

راعها منه صمته ووجومه ... وشجاها شحوبه وسهومه
فاطلت بوجهها الباسم الحا ... و على خده بسحر يهيمه
وامرت كفا على شعره العا ... ري برفق كأنها ستنيمه
ثم قالت كأنها تتغنى ... بشجي من الاغاني تلومه :
ايها الطائر الكئيب تغرد ... ان شدو الطيور حلو رخيمه
واجبنى ـ فدتك نفسي ـ ماذا ؟ ... امصاب ؟ ام ذاك أمر ترومه؟
بل هو الفن واكتئابه والفذ ... ان جم احزانه وهمومه
ابداً يحمل الوجود بما فيه ... كأن ليس للوجود زعيمه
خل عبء الحياة عنك وهيا ... بمحيا كالصبع طلق أديمه
فكثير عليك ان تحمل الدن ... يا وتمشي بوقرها لا تريمه
والوجود العظيم أقعد في الما ... ضي فما انت ربه فتقيمه
وامش في روضة الشباب طروباً ... فحواليك ورده وكرومه
واتل للحب والحياة اغانيـ ... ـك وخل الشقاء تدمي كلومه

واحتضني فأنني لـــك حتى يتوارى هذا الدجى ونجومه
ودع الحب ينشد الشعر لليـل فكم يسكر الظلام رنيمـه
واقطف الورد من خدودي وجيـ ـدي ونهودي وافعل به ما تروم
ان للبيت لهـوه الناعم الحلـ و وللكون حربه وهمومـه
وارتشف من فمي الاناشيدسكـ ـرى فالهوى ساحر الدلال وسيمه
وانس ما في الحياة فالعمر قفر مرعب اذ ذوى وجف نعيمه
وادم لليل والضبـاب بعيداً فنك العابس الكثير وجومه
والهوى والشباب والمرج المعـ ـسول تشدو أفنانه ونسيمـه
هي فن الحياة يا شاعري الفنـ ـان بل لب فنها وصميمـه
تلك يا فيلسوف فلسفة الكو ن ووحي الوجـود هذا قديمه
وهي انجيله الجميل فصدقـ ـه والا فللغرام جحيمـــه

* * *

فرماها بنظرة غشيتهـــا سكرة الحب والأسى وغيومه
وتلاهـــا ببسمة قطفتها شفة غضة الشباب رؤومـه
ما تريد الهموم من عالم ضـا ءت مسراته وغنت نجومه

* * *

ليلة أسبل الغرام عليها سحره الناعم الطرير نعيمه
وتغنى في ظلها المرج اللا هي فجف الأسى وخر هشيمه
اغرق الفيلسوف فلسفة الاح زان في خمرها، فمن ذايلومه؟

* * *

ان في المرأة الجميلة سحراً عبقرياً يذكي الاسى ترنيمه!

قد سكرنا بحبنا واكتفينا

يا مدير الكوءوس فاصرف كوءوسك

« الحاني السكرى »

الحاني السكرى

قـــد سكرنا بحبنا واكتفينا يا مدير الكؤوس فاصرف كؤوسك
واسكب الخمر للعصافير والنحـ ـل وخل الثرى يضم عروسك

**

ما لنا والكؤوس نطلب منهـا نشوة والغرام سحر وسكر ؟!
خلنا منك فالربيع لنـــا سا ق وهذا الفضاء كأس وخمر !!

**

نحن نحيا كالطير في الافق الـ ساجي وكالنحل فوق غض الزهور
لا نرى غير فتنة العالم الحي واحـــلام قلبهـــا المسحور !

**

نحن نلهو تحت الظلام كطفليـ ـن سعيدين في غرور الطفوله
وعلى الصخرة الجميلة في الواد ـي وبين المخـــاوف المجهوله

**

نحن نغدو بين المروج ونعدو ونغني مـــع النسيم المغني

ونناجي روح الطبيعة في الكو ن ونصغي لقلبهـــا المتغني

**

نحن مثل الربيع نمشي على أر ض من الزهر والرؤى والخيال
فوقهـا يرقص الغرام ويلهو ويغـــني في نشوة ودلال

**

نحن نحيا في جنة من جنان السحـ ـر في عـالم بعيد ... بعيـد
نحن في عيشنا المورد، نتلو سور الحب للشباب السعيد!

**

قد تركنا الوجود للناس فيلقضـ ـوا عليه الحياة كيف ارادوا
وذهبنـا بلبـه، وهو روح وتركنا القشور. وهي جماد

**

قد سكرنا بحبنا واكتفينـا طفح الكأس فأذهبوا يا سقاة
نحن نحيا فلا نريد مزيداً حسبنا ما منحتنـا يا حياة

**

حسبنـا زهونا الذي يتثنى حسبنا كأسنا التي نترشف
ان في ثغرنا رحيقاً سماوياً وفي قلبنا ربيعاً مفوف...!

**

ايها الدهر ايهـــا الزمن الجا ري الى غير وجهة وقرار
ايها الكون ايها الفلك الدوّ ار، بالفجر، والدجى والنهار

ايها الموت ايها القدر الاء مى ! قفوا حيث انتم ، او فسيروا
ودعونا هنا تغني لنا الاحـــ لام والحب والوجود الكبير

**

واذا ما ابيتم فاحملونا ولهيب الغرام في شفتينا
وزهور الحياة تعبق بالعط ر وبالسحر والصبا في يدينا

تحت الغصون

ها هنا في خمائل الغاب، تحت الزان ... والسنديان والزيتون
انت اشهى من الحياة وابهى ... من جمال الطبيعة الميمون
ما ارق الشباب في جسمك الغض ... وفي جيدك البديع الثمين !
وادق الجمال في طرفك الساهي ... وفي ثغرك الجميل الحزين !
والذ الحياة حين تغنين ... فاصغي لصوتك المحزون
وارى روحك الجميلة عطراً ... ضايعاً في حلاوة التلحين !
قد تغنيت منذ حين بصوت ... ناعم ، حالم ، شجي حنون
نغماً كالحياة عذباً عميقاً ... في حنان ، ورقة ، وحنين
فاذا الكون قطعة من نشيد ... علوي ، منغم ، موزون
فلمن كنت تنشدين ؟ فقالت : ... « للضياء » البنفسجي الحزين
للضباب المورد المتلاشي ... كخيالات حالم مفتون
للمساء المطل ، للشفق الساجي ... لسحر الاسى ، وسحر السكون
للعبير الذي يرفرف في الأفق ... ويفنى ، مثل المنى في سكون
للاغاني التي يرددها الراعي ... بمزماره الصغير الامين

للربيع الذي يؤجج في الدنيا حياة الهوى ورح الحنين
ويوشي الوجود بالسحر، والاحلام والزهر والشذى واللحون
للحياة التي تغني حوالي على السهل ، والربى ، والحزون
للينابيع ، للعصافير ، للظل ، لهذا الثرى ، لتلك الغصون
للنسيم الذي يضمخ احلامي بعطر الاقاح والليمون
للجمال الذي يفيض على الدنيا لاشواق قلبي المشجون
للزمان الذي يوشح ايامي بضوء المنى ، وظل الشجون
للشباب السكران ، للامل المعبود للبأس ، للاسى ، للمنون

**

فتنهدت ، ثم قلت : « وقلبي » من يغنيه؟ من يجيب شجوني »؟
قالت : « الحب » ثم غنت لقلبي قبلاً عبقرية التلحين
قبلاً ، علمت فؤادي الاغاني وانارت له ظلام السنين
قبلاً ، ترقص السعادة والحب على لحنها العميق الرصين

**

وافقنا ، فقلت كالحالم المسحور : قولي ، تكلمي ، خبريني
اي دنيا مسحورة ؟ اي رؤيا طالعتني في ضوء هذي العيون ؟
زمر من ملائك العالم الاعلى يغنون في حنو حنون
وصبايا رواقص ... يتراشقن بزهر التفاح والياسمين
في فضاء ، مورد ، حالم ، ساه اطافت به عذارى الفنون

وجحيم تؤج تحت فراديس كأحلام شاعر مجنون !
اي خمر مؤجج ، ولهيب مسكر ؟ اي نشوة وجنون ؟
اي خمر رشفت؟ بل اي نار ؟ في شفاه ، بديعة التكوين
وردتها الحياة في لهب السحر ، ونور الهوى ، وظل الشجون
اي إثم مقدس قد لبسنا برده في مسائنا الميمون؟
فبدى طيف بسمة ساحر، عذب على ثغرها ، قوي الفتون
واجابت ... وكلها فتنة تغوي وتغري بالحب بل بالجنون :
ابداً انت حالم .. فاسأل الليل فعند الظلام علم اليقين

* * *

وسكتنا. وغرد الحب في الغاب فاصغى حتى حفيف الغصون
وبنى الليل والربيع حوالينا من السحر ، والرؤى، والسكون
معبداً للجمال والحب ، شعريا مشيداً على فجاج السنين
تحته يزخر الزمان ويجري صامتاً في مصبه المحزون
وتمر الآلام، والحزن ، والموت بعيداً عن ظله المأمون
معبداً ساحراً ، يتوجه الزهر على الصخر ، والثرى، والغصون
كل زهر يضوع منه اريج من بخور الربيع ، جم الفتون
ونجوم السماء فيه شموع اوقدتها للحب روح القرون
ومضت نسمة توسوس للغاب وتشدو في عمق ذاك السكون
وطغى السحر والغرام بقلبي فتوسلت.. ضارعاً .. بجفوني:

طهري يا شقيقة الروح ثغري بلهيب الحياة بل قبليني !
ان نار الحياة ، والكوثر المنشود في ثغرك الشهي الحزين
فهو كأس سحريه لرحيق الخلد قد صاغها اله الفنون
قبليني، وأسكري ثغرك الصادي وقلبي ، وفتنتي ، وجنوني
علني استطيع ان اتغنى لجمال الدجى بوحي العيون
آه ! ما اجمل الظلام ! واقوى وحيه في فؤادي المفتون !

قلب الشاعر

كل ما هب وما دب وما قام او حام على هذا الوجود
من طيور وزهور وشذى وينابيع واغصان تميد
وبحار وكهوف وذرى وديار وبراكين وبيد
وضياء وظلال ودجى وفصول وغيوم ورعود
وثلوج وضباب عابر وأعاصير وامطار تجود
وتعاليم ودين ورؤىً وأحاسيس وصمتٍ ونشيد
كلها تحيا بقلبي حرة غضة السحر كأطفال الخلود
ها هنا في قلبي الرحب العميق يرقص الموت وأطياف الوجود
ها هنا تعصف اهوال الدجى ها هنا تخفق آلامُ الورود
ها هنا تهتف اصداء الفنون ها هنا تعزف ألحانُ الخلود
ها هنا تمشي الأماني والهوى
والأسى ؛ في موكب فخم النشيد

ها هنـــا الفجر الذي لا ينتهي
ها هنـا الليـل الذي ليس يبيد !
ها هنـــا ألف خضم ثائر
خالد الثورة مجهـــول الحدود
ها هنـا في كـــل آن تمحي
صور الدنيا وتبدو من جـديد !

الأبد الصغير

يا قلب ! كم فيك من دنيا محجبة ... كأنها حين يبدو فجرها « إرمُ »
يا قلب! كم فيك من كون قد اتقدت ... فيه الشموس وعاشت فوقه الأمم
يا قلب ! كم فيك من افق تنمقه ... كواكب تتجلى ، ثم تنعدم
يا قلب! كم فيك من قبر قد انطفأت ... فيه الحياة وضجت تحته الرمم
يا قلب! كم فيك من غاب ومن جبل ... تدوي به الريح او تسمو به القمم
يا قلب! كم فيك من كهف قد انبجست ... منه الجداول تجري ما لها لجُم
تمشي، فتحمل غصناً مزهراً نضراً ... او وردة لم تشوه حسنها قدم
او نحلة جرها التيار مندفعاً ... الى البحار ، تغني فوقها الديم
او طائراً ساحراً ميتاً ، قد انفجرت ... في مقلتيه جراح جمة ودم
يا قلب! انك كون مدهش عجب ... ان تسأل الناس عن آفاقه يجموا
كأنك الأبد المجهول قد عجزت ... عنك النهى واكفهرت حولك الظلم!

* * *

يا قلب ! كم من مسرات وأخيلة ... ولذة ، يتحامى ظلها الألم

غنت لفجرك صوتاً حالماً ، فرحاً نشوان ، ثم توارت وانقضى النغم
وكم رأى ليلك الاشباح هائمة مذعورة تتهاوى حولها الرجم
ورفرف الألم الدامي بأجنحة من اللهيب ، وانّ الحزن والندم
وكم مشت فوقك الدنيا بأجمعها حتى توارت ، وسار الموت والعدم!
وشيدت حولك الايام ابنية من الأناشيد ، تبنى ، ثم تنهدم

* * *

تمضي الحياة بماضيها وحاضرها وتذهب الشمس والشطآن والقمم
وانت، انت الخضم الرحب، لا فرح يبقى على سطحك الطاغي، ولا ألم

* * *

ياقلب! كم قد تمليت الحياة ، وكم راقصتها مرحاً ما مسك السأم
وكم توشحت من ليل ومن شفق ومن صباح توشي ذيله السدم
وكم نسجت من الاحلام أردية قد مزقتها الليالي وهي تبتسم
وكم ضفرت أكاليلاً موردة طارت بها زعزع تدوي وتحتدم
وكم رسمت رسوماً لا تشابهها هذي العوالم والاحلام والنظم
كأنها ظلل الفردوس حافلة بالحور ثم تلاشت واختفى الحلم
تبلو الحياة ، فتبليها ، وتخلعها وتستجد حياة ما لها قدم
وانت انت : شباب خالد نضر مثل الطبيعة لا شيب ولا هرم !

قال قلبي للأله

في جبـال الهموم انبتُّ اغصاني فرفت على الصخور بجهد
وتغشاني الضباب فاورقت وأزهرت للعواصف وحدي
وتمايلت في الظلام وعطرتُ فضاء الأسى بأنفاس وردي
وبمجد الحياة والشوق غنيتُ فلم تفهم الأعاصير قصدي
ورمتْ للوهاد أفنانيَ الخضر وظلت في الثلج تحفر لحدي
ومضت بالشذى فقلت لنفسي « ستغشي الرياح بالعطر مجدي»
وتغزلت بالربيع ، وبالفجر ، وجـاء الردى فما تم بعدي

زوبعة في الظلام

لو كانت الايام في قبضتي أذريتها للريح مثل الرمال
وقلت : « ياريح بها فاذهبي وبدديها في سحيق الجبال
بل في فجاج الموت في عالم لا يرقص النور به والظلال»

* *

لو كان هذا الكون في قبضتي ألقيته في النار : نار الجحيم
ما هذه الدنيا وهذا الورى وذلك الافق وتلك النجوم
النار أولى بعبيد الأسى ومسرح الموت وعش الهموم

* *

يا أيها الماضي الذي قد قضى وضمه الموتُ وليل الأبد
يا حاضر الناس الذي لم يزل يا ايها الآتي الذي لم يلد
سخافة دنياكم هذه تائهة في ظلمة لاتحد

قلب الأمّ

يا ايها الطفل الذي قد كان كاللحن الجميل
والوردة البيضاء تعبق في غيابات الاصيل
يا ايها الطفل الذي قد كان في هذا الوجود
حلماً يناجي هاته الدنيا بمعسول النشيد
ويعلّم الناس البراءة ، والمحبة ، والسرور
وينير اعماق القلوب بروحه العذب النضير
ها انت ذا قد اطبقت جفنيك أحلام المنون
وتطايرت زمر الملائك حول مضجعك الامين
ومضت بروحك للسماء عرائس النور الحبيب
يحملن تيجاناً مذهبةً من الزهر الغريب
ها انت ذا قد جلّلتك سكينة الأبد الكبير
وبكتك هاتيك القلوب وضمّك القبر الصغير
وتفرّق الناس الذين الى المقابر شيّعوك
ونسوك من دنياهم ، حتى كأن لم يعرفوك

شغلتهم عنك الحياة وحرب هـذي الكائنات
إن الحياة - وقد قضيت قبيل معرفة الحياة -
بحر ، قرارته الردى ، ونشيد لجتـه شـكاة
وعلى شواطئه القـــلوب تئن دامية عراة
بحر ، تجيش به العواصف في العشية والغداة
وتظلله سحب الظلام ، فلا سكون ولا إياة
نسيتك أمواج البحيرة والنجوم اللامعـــة
والبلبل الشادي وهاتيـــك المروج الشاسعة
وجداول الوادي النضير ، بهمسها وخريرهـا
ومسالك الجبل الصغير ، بعشبها وزهورهـا
حتى الرفاق ...، فانهم لبثوا مدىً يتساءلون
في حيرةٍ مشبوبةٍ : « اين اختفى عنا الامين » ؟
لكنهم علموا بأنك في الليـــالي الداجيه
حملتك غيلان الظـلام الى الجبـال النائيه
فنسوك مثل الناس وانصرفوا الى اللهو الجميل
بين الخمائل ، والجداول ، والروابي ، والسهول
ونسوا وداعة وجهك الهادي ومنظرك الوسيم
ونسوا تغنيك الجميل بصوتك الحلو الرخيم
ومضوا الى السهـل البهيج يطـاردون طيوره

ويزحزحون صخوره ، ويعابثون زهوره
ويشيّدون من الرمال البيض والحصب النضير
غرفاً ، واكواخاً ، تكلّلها الحشائش والزهور
وينضدون من الربى بين التضاحك والحبور
طاقات وردٍ آبدٍ ، تزري باوراد القصور
يلقونها في النهر ، قرباناً لآلهة السرور
فتسير في التيار ، راقصةً على نغم الخرير
كلٌ نسوك .. ولم يعودوا يذكرونك في الحياة
والدهر يدفن في ظلام الموت حتى الذكريات
الا فؤاد ظل يخفق في الوجود الى لقاك
ويود لو بذل الحياة الى المنية ، وافتداك
فاذا رأى طفلاً بكاك ، وان رأى شبحاً دعاك
يصغي لصوتك في الوجود ، ولا يرى إلا بهاك
يصغي لنغمتك الجميلة ، في خرير الساقيه
في أنّةِ المزمار ، في لغو الطيور الشاديه
في ضجّةِ البحر المجلجل ، في هدير العاصفه
في لجة الغابات ، في صوت الرعود القاصفه
في نغية الحمل الوديع ، وفي اناشيد الرعاة
بين المروج الخضر والسفح المجلل بالنبات

في آهة الشاكي ، وضوضاء الجموع الصاخبه
في شهقة الباكي يؤججها نواح النـــادبـه

في كل اصوات الوجود : طروبها وكئيبها
ورخيمها ، وعنيفهـــا ، وبغيضها وحبيبها

ويراك في صور الطبيعة : حلوها ودميمها
وأليفها ومخيفها ، وحقيرهـــا ، وعظيمها

في رقة الفجر الوديع ، وفي الليـــالي الحالمه
في فتنة الشفق البديع ، وفي النجوم الباسمه

في رقص امواج البحيرة تحت اضواء النجوم
في سحر ازهار الربيع ، وفي تهاويل الغيوم

في لمعـة البرق الخفوق ، وفي هوى الصاعقـه
في ذلة الوادي ، وفي مجد الجبـال الشاهقه

في مشهد الغـاب المجرد ، والورود الهـاويه
في ظلمة الليل الحزين ، وفي الكهوف العـاريه

أعرفت هذا القلب ، في ظلماء هاتيك اللحود ؟!
هو قلب «أمك» امك السكرى باحزان الوجود !!

هو ذلك القلب الذي سيعيش كالشادي الضرير
يشدو بشكوى حزنه الداجي الى النفَس الاخير

لا ربة النسيان ترحم حزنه ، وترى بكاه
كلا ! ولا الايام تبـــلي في اناملها أساه

إلا إذا ضفرت له الاقدار اكليل الجنون
وغدا شقياً ضاحـــكاً تلهو بمرآه السنون

هو ذلك القلب الذي مهما تغلبت الحياة
وتدفع الزمن المدمدم في شعاب الكائنات

وتغنت الدنيا ، وغرّد بلبلُ الغاب الجميل
سيظلُّ يعبد ذكرياتك : لا يمل ولا يميل

كالأرض تمشي فوق تربتها المسرّة والشباب
والليل ، والفجر المجنح ، والعواطف والسحاب

والحب ، تنبت في مواطئه الشقائق والورود
والموت ، يحفر اينما يخطو المقابر واللحود

وتمر بين فجاجهـــا اللذات راقصة تميد
سكرى .. واحلام الورى ترنو الى الافق البعيد

وتظل ترقص للأسى ، للهو ، أشباح الدهور
حتى يواريها ضباب الموت في وادي الدثور

وتظل تورق ، ثم تزهر ، ثم ينثرها الصباح
للموت ، للشوق الممزق ، للجداول ، للرياح

بسمات ثغرٍ حالم يفتر في سهـو السرور
وورود روضٍ باسمٍ يصغي لالحـان الطيور
وتظل تخفق ، ثم تشدو ، ثم يطويها التراب
قُبَلٌ واطيـــار تغرد للحياة وللشباب
وتظل تمشي في جوار الموت افراح الحيـاة
ويغرد الشحرور ما بـين الجماجم والرفات
وارض حالمـــةٌ تغني بين اسراب النجوم
انشودة الماضي البعيد وسُورة الازل القديم !

الجنة الضائعة

كم من عهود عذبة في عدوة الوادي النضير
فضية الاسحار مذهبة الاصائل والبكور
كانت أرق من الزهور ومن اغاريد الطيور
والذ من سحر الصبا في بسمة الطفل الغرير
قضيتها ومعي الحبيبة لا رقيب ولا نذير
الا الطفولة حولنا تلهو مع الحب الصغير
ايام كانت للحياة حلاوة الروض المطير
وطهارة الموج الجميل، وسحر شاطئه المنير
ووداعة العصفور بين جداول الماء النمير
ايام لم نعرف من الدنيا سوى مرح السرور
وتتبع النحل الانيق وقطف تيجان الزهور

اواه قد ضاعت عليّ سعادة القلب الغرير
وبقيت في وادي الزمان الجهم أدأب في المسير

« الجنة الضائعة »

وتسلق الجبل المكلل بالصنوبر والصخور
وبناء اكواخ الطفولة تحت اعشاش الطيور
نبني فتهدمها الرياح فلا نضج ولا نثور
ونعود نضحك للمروج وللزنابق والغدير
ونخاطب الاصداء ، وهي ترف في الوادي المنير
ونعيد اغنية السواقي وهي تلغو بالخرير
ونظل نركض خلف اسراب الفراش المستطير
ونمر ما بين المروج الخضر في سكر الشعور
نشدو ونرقص كالبلابل ، للحياة وللحبور
ونظل ننثر للفضاء الرحب والنهر الكبير
ما في فؤادينا من الاحلام او حلو الغرور
ونشيد في الافق المنور من امانينا قصور
أزهى من الشفق الجميل ورونق المرج الخضير
واجل من هذا الوجود وكل امجاد الدهور
ابداً ، تدللنا الحياة بكل انواع السرور
وتبث فينا من مزاج الكون ما يغوي الوقور
فنسير ، ننشد لهونا المعبود من كل الامور
ونظل نعبث بالجليل من الوجود وبالحقير
بالسائل الأعمى ، وبالمعتوه ، والشيخ الكبير

بالقطه البيضاء ، بالشاة الوديعة ، بالحمير
بالعشب ، بالفنن المنوَّر ، بالسنابل ، بالسفير
بالرمل ، بالصخر المحطم ، بالجداول ، بالغدير
واللهو والعبث البرىء الحلو مطمحنا الاخير
ونظل نقفز ، او نغني ، او نثرثر او ندور
لا نسأم اللهو الجميل ، وليس يدركنا الفتور
فكأننا نحيـــا بأعصاب من المرح المثير
وكأننـا نمشي بأقـــدام مجنحـة تطـير
أيام كنا لب هذا الكون ، والباقي قشور
ايام تفرش سبلنـا الدنيـا بأوراق الزهور
وتمر ايام الحيـاة بنا ، كأسراب الطيور
بيضاء ، لاغيـــة ، مغردة ، مجنحة بنور
وترفرف الافراح فوق رؤوسنا أنّى نسير

•

آه توارى فجري القدسي في ليل الدهور
وفنى ، كما يفنى النشيد الحلو ، في صمت الاثير
اواه ! قد ضاعت عليّ سعادة القلب الغرير

وبقيت في وادي الزمان ألجهم أدأب في المسير
وأدوس اشواك الحياة بقلبي الدامي الكسير
وارى الاباطيل الكثيرة والمآثم والشرور
وتصادم الاهواء بالاهواء في كل الامور
ومذلة الحق الضعيف وعزة الظلم القدير !
وارى ابن آدم سائراً في رحلة العمر القصير
ما بين اهوال الوجود ، وتحت اعباء الضمير
متسلقاً جبل الحياة الوعر كالشيخ الضرير
دامي الاكف ، ممزق الاقدام ، مغبر الشعور
مترنح الخطوات ما بين المزالق والصخور
هالته اشباح الظلام ، وراعه صمت القبور
ودوي اعصار الاسى ، والموت في تلك الوعور !

•

ماذا جنيت من الحياة ومن تجاريب الدهور
غير الندامة والأسى واليأس والدمع الغزير ؟
هذا حصادي من حقول العالم الرحب الخطير !
هذا حصادي كله في يقظة العهد الاخير !

•

قد كنت في زمن الطفولة والسذاجة والطهور

أحيا كما تحيا البلابل والجداول والزهور
لا تحفل الدنيا تدور بأهلها او لا تدور
واليوم احيا مرهق الاعصاب مشبوب الشعور
متأجج الاحساس ، احفل بالعظيم وبالحقير
تمشي على قلبي الحياة ، ويزحف الكون الكبير!
هذا مصيري ..
يا بني الدنيا ..
فما أشقى المصير !!

انا ابكيك للحُبِّ

لست يا امسي أبكيـــك لمجد أو لجـاه
سلبتـه مـني الدنيـــا ، وبزتني رداه
فأنا احتقر المجـــد ، وأوهـام الحيـاه

•

أو لعمر ، بلغت منه الليـالي منتهـاه
وتلاشت في خضم الزمن الطـاغي قواه
فأنا ما زلت في فجر شبابي أو ضحـاه

•

لا ، لا ابكيك يا أمسي ، اذا ما قلت آه
لنعيم لم ينـــل قلـبي منـه مشتهـاه
فبنو الايام في الدنيـــا كما شاء الاله

•

انمـــا ابكيك للحب ، الذي كان بهـاه

يملأ الدنيا ، فانى سرت في الدنيا أراه
فاذا مـا لاح فجر ، كان في الفجر سنـاه
واذا غرد طـــير ، كان في الشدو صداه
واذا ما ضاع عطر ؛ كان في العطر شذاه
واذا ما عرف زهر ، كان في الزهر صباه
فهو في الكون جمال ، يملأ الافق ضياه
وتوشي هـــذه الاكوان بالسحر رؤاه
وهو في قلبي - الذي عانقه الفجر - إله !
عبقـري السحر ، ممراح وديع في سماه
ينسج الاحـلام في قلـبي بأضواء الحيـاه
ويغنيني فأنسى في مسرات غناه
كل ما في الكون من حزن وافراح عداه

اغاني التائه

كان في قلبي فجر ونجوم وبحار لا تغشيها الغيوم
واناشيد وأطيار تحوم وربيع مشرق حلو جميل
كان في قلبي صباح وإياة وابتسامات ولكن واأساه
آه ما اهول إعصار الحياة آه ما أشقي قلوب الناس آه

كان في قلبي فجر ونجـــوم
فاذا الكل ظـــلام وسديم
كان في قلبي فجر ونجوم

يا ابن امي ! أترى اين الصباح ؟ قد تقضى العمر والفجر بعيد
وطغى الوادي بمشبوب النواح وانقضت انشودة الفصل السعيد
أين نائي ؟ هل ترامته الرياح؟ والاغاني، اين محراب السجود؟
خبروا قلبي فما اقسى الجراح كيف طاشت نشوة العيش الحميد

يا ابن امي! أترى اين الصباح ...؟
أوراء البحر، ام خلف الوجود ...؟
يا ابن أمي! أترى اين الصباح ...؟

ليت شعري هل ستسليني الغداة وتعزيني عن الأمس الفقيد
وتريني ان افراح الحياة زمر تمضي وافواج تعود
فاذا قلبي صباح وإياة واذا احلامي الاولى ورود
واذا الشحرور حلو النغمات واذا الغاب ضياء ونشيد

ليت شعري هل تعزيني الغداة ؟
ام ستنساني وتبقيني وحيد ؟
ليت شعري هل ستسليني الحياة؟

نحن نتلو رواية الكون للموت ... ولكن ماذا ختام الرواية؟

« من ظل وادي الموت »

في ظل وادي الموت

نحن نمشي وحولنا هذه الأكو ان تمشي ، لكن لأية غايه ..؟
نحن نشدو مع العصافير للشمس ، وهـذا الربيع ينفخ نايه ...؟
نحن نتلو رواية الـكون للمو ت ، ولكن ماذا ختام الروايه ...؟
هـكذا قلت للرياح فقـالت : سل ضمير الوجود كيف البدايه ...؟!

* * *

وتغشى الضباب نفسي فصاحت في ملال مر : الى أين أمشي ...؟
قلت : سيري مع الحياة. فقالت : ما جنينا ترى من السير امس ...؟
فتهافت كالهشيم عـلى الأر ض وناديت: أين ياقلب رفشي ...؟
هـاته ، علني أخـط ضريحي في سكون الدجى ، وادفن نفسي ..؟

* * *

هاته ، فالظلام حولي رهيب وضباب الأسى منيخ عليـا
وكؤوس الغرام أترعها الفجر . ولكن تحطمت في يديا !
والشباب الغرير ولى الى الما ضي ، وخلى النحيب في شفتيا

هـــاته يا فؤاد إنا غريبـا ن نصوغ الحيـاة فناً شجيا

***

قـد رقصنا مع الحياة طويلا وشدونا مع الشبـاب سنينا
وعدونا مع الليالى حفـــاة في شعاب الزمان حتى دمينا
واكلنـا التراب حتى مللنـا وشربنـا الدموع حتى روينـا
ونثرنا الأحلام والحب والآلا مِ والحـزن يسرة ويمينـا

***

ثم ماذا ..؟ هذا أنا صرت في الدنيا بعيداً عن لهوها وغناها
في ظـلام الفنـاء، أدفن أيا مي ولا استطيـع حتى بـكاها!
وزهور الحياة . تهوي بصمت محزن ، مضجر ، على قدميا
جف سحر الحياة . يا قلبي البا كي فهيا نجرب الموت .. هيا!

النبي المجهول

أيها الشعب ! ليتني كنت حطا ... باً ، فأهوي على الجذوع بفأسي!
ليتني كنت كالسيول اذا سا ... لت تهد القبور رمساً برمس !
ليتني كنت كالريـــاح فأطوي ... كل ما يخنق الزهور بنحسي !
ليتني كنت كالشتاء اغشي ... كل ما اذبل الخريف بقرسي
ليت لي قوة العواصف يا شعـ ... ـبي فألقي اليك ثورة نفسي
ليت لي قوة الاعاصير ان ضجـ ... ـت فأدعوك للحياة بنبسي !
ليت لي قوة الاعاصير !.. لكن ... انت حي يقضي الحياة برمس!
انت روح غبية تكره النـــو ... ـر وتقضي الدهور في ليل ملس!
انت لا تدرك الحقائق ان طاف ... ت حواليك دون مس وجس!

* * *

في صباح الحياة ضمخت اكوا ... بي واترعتها بخمرة نفسي
ثم قدمتها اليـــك فأهرقـ ... ـت رحيقي ودست ياشعب كأسي!
فتـــألمت ... ثم اسكت آلا ... مي وكفكفت من شعوري وحسي

ثم نضدت من ازاهير قلبي باقة لم يمسها اي انس
ثم قدمتها اليك فمزقـ ـت ورودي ودستها اي دوس !
ثم ألبستني من الحزن ثوباً وبشوك الصخور توجت رأسي !

* * *

ها أنا ذاهب الى الغاب يا شعـ ـبي لأقضي الحياة وحدي بيأس
ها أنا ذاهب الى الغاب علي في صميم الغابات ادفن نفسي
ثم انساك ما استطعت فما أنـ ـت بأهل لخمرتي ولكأسي
سوف اتلو على الطيور أناشيـ ـدي وأفضي لها بأحزان نفسي
فهي تدري معنى الحياة وتدري ان مجد النفوس يقظة حس !
ثم اقضي هناك في ظلمة الليـ ـل وألقي الى الوجود بيأسي
ثم تحت الصنوبر الناضر الحلـ ـو تخط السيول حفرة رمسي
وتظل الطيور تلغو على قبـ ـري ويشدو النسيم فوقي بهمس
وتظل الفصول تمشي حوالي كما كنّ في غضارة امس

***

ايها الشعب ! انت طفل صغير لاعب بالتراب والليل مغس !
انت في الكون قوة لم تسسها فكرة عبقرية ذات بأس !
انت في الكون قوة كبلتها ظلمات العصور من امس امس
والشقي الشقي من كان مثلي في حساسيتي ورقة نفسي !

***

هكذا قال شاعر ناول الشعـ ـب رحيق الحياة في خير كأس
فاشاحوا عنها ، ومروا غضاباً واستخفوا به وقالوا ببأس :
«قد اضاع الرشاد في ملعب الجن فيا بؤسه اصيب بمس ! »
«طالما خاطب العواصف في الليل وناجى الاموات في كل رمس»
« طالما رافق الظلام الى الغا ب ونادى الارواح من كل جنس»
«طالما حدث الشياطين في الوا دي وغنى مع الرياح بجرس»
« انه ساحر تعلمـه السحـ ـر الشياطين كل مطلع شمس»
« فابعدوا الكافر الخبيث عن الهيكل ، إن الخبيث منبع رجس »
« اطردوه ، ولا تصيخوا اليه فهو روح شريرة ذات نحس»!

***

هكذا قال شاعر فيلسوف عاش في شعبه الغبي بتعس
جهل النـاس روحـه واغانيـ ـها ، فساموا شعوره سوم بخس
فهو في مذهب الحياة نبي وهو في شعبه مصاب بمس !
هكذا قال ... ثم سار الى الغا ب ، ليحيا حياة شعر وقدس

***

وبعيداً هنـاك في معبد الغا ب الذي لا يظله أي بؤس
في ظلال الصنوبر الحلو والزيـ ـتون يقضي الحياة حرساً بحرس
في الصباح الجميل يشدو مع الطـ ـير ، ويمشي في نشوة المتحسي
نافخاً نايه حواليـــه تهتز ورود الربيع من كل قنس

شعره مرسل ـ تداعبه الري ح ـ على منكبيه مثل الدمقس
والطيور الطِراب تشدو حواليـ ـه، وتلغو في السرو من كل جنس
وتراه عند الاصيل لدى الجد ول يرنو للطائر المتحسي
او يغني بين الصنوبر او ير نو الى سدفة الظلام المعسي
فاذا اقبل الظلام وامست ظلمات الوجود في الكون تعسي
كان في كوخه الجميل مقيماً يسأل الكون في خشوع وهمس:
عن مصب الحياة اين مداه ؟ . . وصميم الوجود ايّان يرسي ؟
وعبير الورود في كل واد ونشيد الطيور حين تمسي
وهزيم الرياح في كل فج ورسوم الحياة من امس امس
واغاني الرعاة اين يواريـ ـها سكون الفضا ؟ وأيان تمسي

* * *

هكذا يصرف الحياة ويفنى حلقات السنين حرساً بحرس
يا لها من معيشة في صميم الـ ـغاب تضحي بين الطيور وتمسي
يا لها من معيشة لم تدنـ ـسها نفوس الورى بخبث ورجس
يا لها من معيشة هي في الكو ن حياة غريبة ذات قدس

الرواية الغريبة

ضحكنا على الماضي البعيد وفي غـد
ستجعلنـا الايام اضحوكة الآتي
وتلك هي الدنيـا روايـــة ساخر
عظيم ، غريب الفن مبدع آيـات
يمثلها الاحيـــاء في مسرح الأسى
ووسط ضبـاب الهم تمثيل اموات
ليشهد من خلف الضباب فصولها
ويضحك منها من يمثل ما ياتي
وكل يؤدي دوره ... وهو ضاحك
على الناس مضحوك على دوره العاتي !

الأشواق التائهة

يا صميم الحيـــاة اني وحيد مدلج تائـــه فاين شروقك؟
يا صميـــم الحيـاة اني ضائع ظامىء فاين رحيقك؟
يا صميم الحيـاة قد وجم الناي وغـام الفضا فاين بروقـك؟
يا صميم الحياة اين اغانيك فتحت النجوم يصغي مشوقك؟

***

كنت في فجري الموشح بالأحلام عطراً يرف فـوق ورودك
حالمـــا ينهل الضياء ويصغي لك في نشوة بوحي نشيدك
ثم جاء الدجى وامسيت اوراقاً بداداً من ذابلات الورود
وضبابا من الشذى يتـلاشى بين هول الدجى وصمت الوجود
كنت في فجرك المغلف بالسحر فضـــاء من النشيد الهادي
وسحابا من الرؤى يتهادى في ضمير الازال والاباد
وضياءً يعانق العالم الرحب ويسري في كل خاف وباد
وانقضى الفجر، فانحدرت من الأفق تراباً الى صميم الوادي

**

... وضياء يعانق العالم الرحب

ويسري في كل خاف وباد

« الاشواق التائهة »

يا صميم الحياة كم انا في الدنيا غريب اشقى بغربة نفسي
بين قوم لا يفهمون اناشيد فؤادي ولا معاني بؤسي
في وجود مكبل بقيود تائه في ظلام شك ونحس
فاحتضني وضمني لك بالماضـ ي فهذا الوجود علة يأسي

***

لم اجد في الوجود الا شقاءً سرمدياً ولذةً مضمحلة
واماني يغرق الدمع احلاها ويفنيها يمّ الزمان صداها
واناشيد يأكل اللهب الدامي مسراتها ويبقي اساها
وورودا تموت في قبضة الاشـ واك ... ما هذه الحياة المملة !

***

سأم هذه الحياة معادٌ وصباحٌ يكر في اثر ليل
ليتني لم افد الى هذه الدنيا ولم تسبح الكواكب حولي
ليتني لم يعانق الفجر احلامي ولم يلثم الضياء جفوني
ليتني لم ازل كما كنت ضوءاً شائعاً في الوجود غير سجين

الناس

ما قدس المثل الاعلى وجمله
في اعين الناس الا انه حلم
ولو مشى فيهم حياً لحطمه
قوم ، وقالوا بخبث : انه صنم
لا يعبد الناس الا كل منعدم
ممنع ، ولمن حاياهم العدم
حتى العباقرة الافذاذ حيهمُ
يلقى الشقاء وتلقى مجدها الرمم
الناس لا ينصفون الحي بينهم
حتى اذا ما توارى عنهم ندموا
الويل للناس من اهوائهم ابداً
يمشي الزمان وريح الشر تحتدم

امل الشاعر

ليت لي ان اعيش في هذه الدنـ ... يا بعيداً بوحدتي وانفرادي
اصرف العمر في الجبال وفي الغا ... بات وبين الصنوبر الميـاد
ليس لي من شواغل العيش مايصـ ... ـرف نفسي عن استماع فؤادي
اتغنى مع البلابل في الغـاب ... واصغي الى خرير الـوادي
واناجي النجوم والفجر والاطـ ... ـيار والنهر والضيـاء الهادي
عيشة للجمـال والفن أبغيـ ... ـها بعيداً عن امتي وبـــلادي
لا اعني نفسي باحزان شعـبي ... فهو يحيـا بظلمة الآبـــاد
حسب نفسي من الاسي ما لديها ... من طريف مستحدث وتلاد
وعن الناس ، لا افكر في النـا ... س ولا في حديث تلك النوادي
فهو من معدن السخافة والافـ ... ـك ، ومن ذلك الهراء العادي
اين منه خرير تلك الينـابيـ ... ـع الجواري وشدو تلك الشوادي
وحفيف الغصون نمقها الطـ ... ـل وهمس النسيم للاوراد
هـذه عيشة تقدسهـا نفسي ... وادعو لمجدهـــا وانـادي

أيتها الحالمة بين العواصف

أنت كالزهرة الجميلة في الغاب ... ولكن ما بين شوك ودود
والرياحين تحسب الحسك الشري ... ر والدود من صنوف الورود
فافهمي الناس: انما الناس خلقٌ ... مفسد في الوجود غير رشيد
والسعيد السعيد من عاش كالليل ... غريباً في اهل هذا الوجود
ودعيهم يحيون في ظلمة الاثم ... وعيشي في طهرك المحمود
كالملاك البرىء، كالوردة البيضاء ... كالموج في الخضم البعيد
كأغاني الطيور، كالشفق الساحر ... كالكوكب البعيد السعيد
كثلوج الجبال، يغمرها النور ... وتسمو على غبار الصعيد

* * *

أنت تحت السماء روح جميل ... صاغه الله من عبير الورود
وبنو الارض كالقرود، وما اض ... يع عطر الورود بين القرود
أنت من ريشة الاله، فلا تل ... قي بفن السما لجهل العبيد
أنت لم تخلقي ليقربك النا ... س ولكن لتعبدي من بعيد!!

في ظلال الغاب

يا ليت شعري ! هل لليل النفس من صبح قريب ..
فتفر عاصفة الظلام .. وتهجع الريح الغضوب ..
ويرتل الانسان أغنية مع الدنيا طروب ..؟!

* * *

ما للرياح تهب في الدنيا ، ويدركها اللغوب
الا رياحي ، فهي جامحة تمردها عصيب ؟
مالي تعذبني الحياة كأنني خلق غريب ؟
وتهد من قلبي الجميل ، فهل لقلبي من ذنوب ؟
واذا سألت : لم الوجود ، وكله هم مذيب ؟
قالت « نواميس السماء قضت ومالك من هروب»
آه على قلبي ! وان شقيت كشقوته قلوب
انقى من الموج الوضيء . . . ومن نشيد العندليب
لم تقترف اثم الحياة ولا تناولت اللهيب

* * *

يا مهجة الغاب الجميل ! ألم يصدعك النحيب ؟
يا وجنة الورد الانيق ! ألم تشوهك الندوب

يا جدول الوادي الطروب ! ألم يرنقك القطوب ؟
يا غيمة الافق الخضيب ! ألم تمزقك الخطوب ؟
يا كوكب الشفق الضحوك ! أما ألم بك الشحوب ؟
ها انت تضحك في سمائك لا تهم ولا تخيب !
تلقي على قنن الجبال الشم حالمة الغيـوب
ولكي تغنيك الجداول لحنها العذب الحبيب
وترى جمالك من بنات الغاب معطار لعوب
ممشوقة في فرعهـا تـاج من الورد الخضيب
تتلو أناشيد الربيع كأنهـا نجوى القلوب
يا كوكب الشفق الجميل ! وانت مبتهل الكئيب
لج في السماء ... وغن ابناء الشقاوة والخطوب
انشودة تهب الحياة لكل مبتئس غريب
فالطير قد أغفت وأسكت صوتها الليل الهيوب
وابسط جناحك في الوجود ... فانه عذب خلوب
متألق بين النجوم كأنه حلم طروب
وانشر ضياءك ساطعاً لينير اعماق القلوب
فعلى جوانبها من الاحزان ديجور رهيب

* * *

ما للمياه نقية حولي ، ومنفجري مشوب ؟

ما للصباح يعود للدنيا ، وصبحي لا يؤوب ؟
ما لي يضيق بي الوجود ، وكل ما حولي رحيب ؟
مالي وجمت ، وكل ما في الغاب مغترد طروب؟
مالي شقيت ، وكل ما في الكون أخاذ عجيب ؟
ها ان انوار النهار تطل من خلف الغروب
فتخضب الامواج والآفاق والجبل الخصيب
ها ان اقدام الربيع تلامس السهل الجدوب
فاذا به يحيي وينبت رائق الزهر الرطيب
ان الوجود الرحب والغابات والافق الخضيب
لم تخب نيران الحياة بها ، فغيرها القطوب
اما انا ففقدتها والليل مربده عصيب
والريح تعصف بالورود فعشت سخرية الخطوب

***

مهما تضاحكت الحياة فانني ابداً كئيب
أصغي لأوجاع الكآبة ... والكآبه لا تجيب
في مهجتي تتأوه البلوى ويعتلج النحيب
ويضج جبار الأسى وتئن غمغمة الكروب
إنى انا الروح الذي سيظل في الدنيا غريب
ويعيش مضطلعاً بأحزان الشبيبة والمشيب

فكرة الفنان

عش بالشعور ، وللشعور فانما ... دنياك كون عواطف وشعور
شيدت على العطف العميق، وانها ... لتجف لو شيدت على التفكير
وتظل جامدة الجمال ، كئيبة ... كالهيكل المتهدم ، المهجور
وتظل قاسية الملامح جهمة ... كالموت ... مقفرة بغير سرور
لا الحب يرقص فوقها ، متغنياً ... للناس بين جداول وزهور
متورد الوجنات سكران الخطى ... يهتز من مرح ، وفرط حبور
متكللاً بالورد ينثر للورى ... أغصان « ورد اللذة » المنظور
كلا ،ولا الفن الجميل بظاهر ... في الكون تحت غمامةمن نور
متوشحاً بالسحر ينفخ نايه المش ... بوب بين خمائل وغدير
أو يلمس العود المقدس، واضعاً ... للموت ، للايام ، للديجور
ما في الحياة من المسرة، والاسى ... والسحر ، واللذات، والتغرير
ابداً ، ولا الامل المجنح منشد ... فيها بصوت الحالم المحبور

تلك الاناشيد التى تهب الورى عزم الشباب ، وغبطة العصفور

***

واجعل شعورك في الطبيعة قائداً فهو الخبير بتيهها المسحور
صحب الحياة صغيرة ومشى بها بين الجماجم والدم المهدور
وعدا بها فوق الشواهق باسماً متغنياً من اعصر ودهور
والعقل رغم مشيبه ووقاره ما زال في الايام جد صغير !
يمشي فتقرعه الرياح فينثني متوجعاً كالطائر المكسور
ويظل يسأل نفسه متفلسفاً متنطعاً في خفةٍ وغرور
عما تحجّبه الكواكب خلفها من سر هذا العالم المستور
وهو المهشم بالعواصف يا له من ساذج متفلسف مغرور

***

وافتح فؤادك للوجود وخله لليم ، للأمواج ، للديجور
للثلج تنثره الزوابع للأسى للهول للآلام ، للمقدور
واتركه يقتحم العواصف هائماً في افقها المتلبد المقرور
ويخوض احشاء الوجود مقامراً في ليلها المتهيب المحذور
حتى تعانقه الحياة ويرتوي من ثغرها المتأجج المسجور
فتعيش في الدنيا بقلب زاخرٍ يقظ المشاعر حالمٍ مسحور
في نشوة صوفية قدسيةٍ هي روح هذا العالم المنظور

من اغاني الرعاة

اقبـــل الصبح يغني للحياة الناعسه
والربى تحلم في ظـــل الغصون المائسه
والصبـا ترقص اوراق الزهور اليـابسه
وتهـادى النور في تلك الفجاج الدامسه

•

اقبل الصبح جميلاً يملأ الافق بهـاه
فتمطى الزهر والطـــير وامواج الميـاه
قد أفاق العـــالم الحي ، وغنى للحياه !
فأفيقي يا خرافي واهرعي لي يا شيـــاه

•

واتبعيني يا شياهي بـين اسراب الطيور
واملئي الوادي ثغـاء ومراغـــاً وحبور
واسمعي همس السواقي وانشقي عطر الزهور

واقطفي من كلأ الارض ومرعاها الجديد
واسمعي شبابتي تشـــدو بمعول النشيد

« من اغاني الرعاة »

وانظري الوادي يغشيه الضباب المستنير

•

واقطفي من كلأ الارض ومرعاها الجديد
واسمعي شبّابتي تشدو بمعسول النشيد
نغم يصعد من قلبي كأنفاس الورود
ثم يسمو طائراً كالبلبل الشادي السعيد

•

وإذا جئنا إلى الغاب وغطانا الشجر
فاقطفي ما شئت من عشب وزهر وثمر
ارضعته الشمس بالضوء وغذاه القمر
وارتوى من قطرات الطل في وقت السحر

•

وامرحي ما شئت في الوديان او فوق التلال
واربضي في ظلها ما شئت ان خفت الكلال
وامضغي الاعشاب والافكار في صمت الظلال
واسمعي الريح تغني في شماريخ الجبال

•

إن في الغاب ازاهير واعشابا عذاب
ينشد النحل حواليها اهازيجاً طراب

لم تدنس عطرها الطاهر انفاس الذئاب
لا ولا طاف بها الثعلب في بعض الصحاب

•

وشذاً حلواً ، وسحراً وسلاما وظـــلال
ونسيما ساحر الخطـــوة موفور الدلال
وغصوناً يرقص النور عليهـا والجمـال
واخضراراً أبديـاً ليس تمحوه الليـال

•

إن تملي يا خرافي من حمى الغاب الظليل
فزمان الغاب طفل لاعب عذب جميل
وزمان الناس شيخ عابس الوجه ثقيل
يتمشى في ملال فوق هـاتيك السهول

•

لك في الغابات مرعاي ومسعاي الجميل
ولي الانشاد والعزف الى وقت الاصيل
فاذا طالت ظلال الكلأ الغض الضئيل
فهلمي نرجع المسعى الى الحي النبيل

نشيد الجبار

أو

هكذا غنى بروميثيوس

سأعيشُ رغم الداء والأعداء كالنسر ، فوق القمة الشماء
ارنو الى الشمس المضيئة هازئاً بالسحب ، والأمطار ، والأنواء
لا ألمح الظل الكئيب ولا أرى ما في قرار الهوّة السوداء
واسير في دنيا المشاعر حالماً غرداً ، وتلك طبيعة الشعراء
اشدو بموسيقى الحياة ووحيها وأذيبُ روح الكون في انشائي
واصيخ للصوت الآلهيّ الذي يحيي بقلبي ميت الاصداء

***

واقول للقدر الذي لا ينثني عن حرب آمالى بكل بلاء :
« لا يطفىء اللهب المؤجج في دمي
موجُ الأسى ، وعواصف الأرزاء
فاهدم فؤادي ما استطعت فانه
سيكون مثل الصخرة الصماء

لا يعرف الشكوى الذليلة والبكا
وضراعة الأطفال والضعفاء
ويعيش كالجبـــار يرنو دائماً للفجر .. للفجر الجميل النائي
واملأ طريقي بالمخاوف والدجى وزوابع الأشـواك والحصباء
وانشر عليه الرعب وانثر فوقـه
رُجُم الرّدى وصواعق البأساء
سأظل أمشي رغم ذلك عازفاً
قيثارتي مترنماً بغنـــائي
أمشي بروح حـــالمٍ، متوهجٍ في ظلمـــة الآلام والادواء
النور في قلبي وبين جوانحي فعلام أخشى السير في الظلماء؟
إني أنا الناي الذي لا تنتهي
انغامـه ما دام في الاحيـاء
وأنا الخضم الرحب، ليس تزيده إلا حيـــاةً سطوة الانواء

***

اما اذا خمدت حياتي وانقضى عمري وأخرست المنيـة نائي
وخبا لهيب الكون في قلبي الذي قد عاش مثل الشعلة الحمراء
فأنا السعيد بأنـــني متحول عن عـالم الآثام والبغضاء
لأذوب في فجر الجمال السرمد ي وأرتوي من منهل الاضواء

***

واقول للجمع الذين تجشموا هدمي وودوا لو يخر بنـائي

ورأوا على الاشواك ظلي هامداً ... فتوهموا اني قضيت ذمائي
وغدوا يشبون اللهيب بكل ما ... وجدوا . . . ليشووا فوقه اشلائي
ومضوا يمدون الخوان ليأكلوا ... لحمي ويرتشفوا عليه دمائي
اني اقول لهم بصوت حالم ... وعلى شفاهي بسمة استهزاء :
« ان المعاول لا تهد مناكبي ... والنار لا تأتي على اعضائي
حتى ولو امسيت جسماً ميتاً ... ملقى لعصف الزعزع النكباء
فارموا الى النار الحشائش والعبوا ... يا معشر الاطفال تحت سمائي
وإذا تمردت العواصف وانتشى ... بالهول قلب القبة الزرقاء
ورأيتموني طائراً مترنماً ... فوق العواصف في الفضاء النائي
فارموا على ظلي الحجارة واختفوا ... خوف الرياح الهوج والانواء
وهناك في أمن البيوت تبادلوا ... غث الحديث وميت الآراء
وترنموا ما شئتم بشتائمي ... وتجاهروا ما شئتم بعدائي
اما انا فأجيبكم من فوقكم ... والشمس والشفق الجميل ازائي :
« من جاش بالوحي المقدس قلبه ... لم يحتفل بحجارة الفلتاء » !!

الصباح الجديد

اسكتي يا جراح واسكتي يا شجون
مات عهد النواح وزمان الجنون
وأطل الصباح من وراء القرون

•

في فجاج الهوى قد دفنت الالم
ونثرت الدموع لرياح العدم
واتخذت الحياة معزفاً للنغم
اتغنى عليه في رحاب الزمان

•

وأذبت الاسى في جمال الوجود
ودحوت الفؤاد واحة للنشيد
والضيا والظلال والشذي والورود
والجوى والشباب والمنى والحنان

•

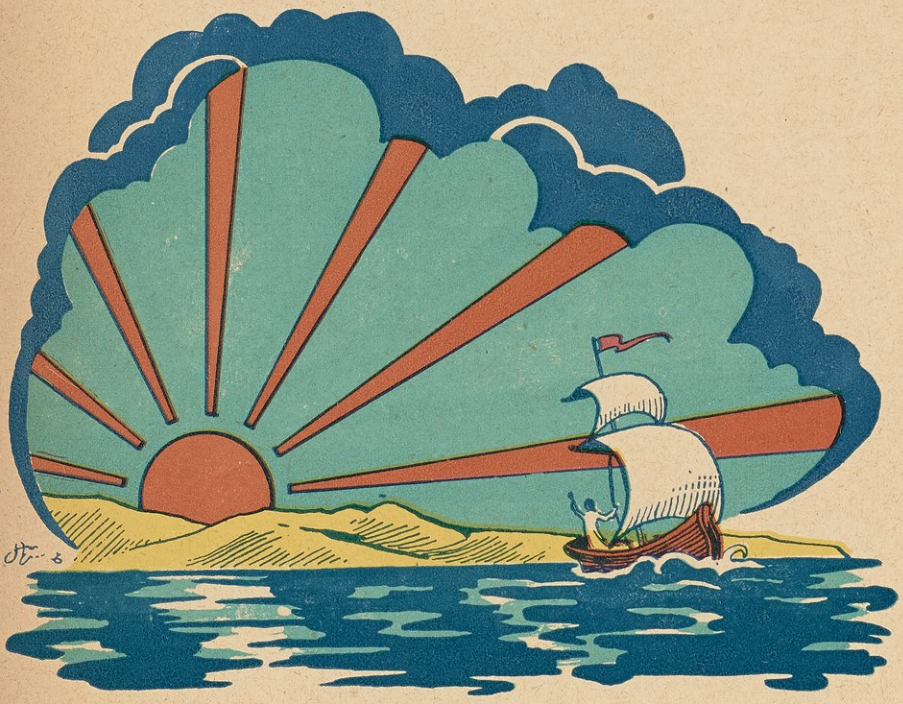

ونشرت القلاع فالوداع.. الوداع

« الصباح الجديد »

اسكتي يا جراح واسكتي يا شجون
مات عهد النواح وزمان الجنون
وأطل الصباح من وراء القرون

•

في فؤادي الرحيب معبد للجمال
شيدته الحياة بالرؤى والخيال
فتلوت الصلاة في خشوع الظلال
وحرقت البخور وأضأت الشموع

•

ان سحر الحياة خالدٌ لا يزول
فعلام الشكاة من ظلام يحول
ثم يأتي الصباح وتمر الفصول
سوف يأتي ربيع ان تقضى ربيع

•

اسكتي يا جراح واسكتي يا شجون
مات عهد النواح وزمان الجنون
واطل الصباح من وراء القرون

•

من وراء الظلام وهدير المياه

قد دعاني الصباح وربيع الحياه
يا له من دعاء هزّ قلبي صداه
لم يعد لي بقاء فوق هذي البقاع

•

« الوداع الوداع يا جبال الهموم »
« يا ضباب الاسى يا فجاج الجحيم »
« قد جرى زورقي في الخضم العظيم »
« ونشرت القلاع فالوداع الوداع »!!

نماذج

من

النثر

الشعرُ

ماذا يجب ان يفهم منه ؟ وما هو مقياسه الصحيح ؟

كثيراً ما تحدث الناس عن الشعر وكثيراً ما رتلوه .

فالشاعر والفنان ، والمؤرخ والفيلسوف ، والراهب في ديره ، والناسك في صومعته ، والشاب في مدرسته ، والغادة في خدرها ، والرعي بين الغابات والجبال ، والحصاد بين السنابل والاغمار ، والبحّار يصارع الموج ويقاوم العاصفة في زورقه الصغير ، كل هؤلاء يتحدثون عن الشعر احاديث كثيرة متباينة ، ويصفونه بأوصاف غريبة ، ويتكلمون عنه بلغة يقرب بها كل بين ما في نفسه وبين حقيقة الشعر ، وكل هؤلاء يرتلونه في اوقات الوحدة والانفراد ، ويتغنون به حينما يخلو كل واحد الى نفسه ويصغي الى احاديث قلبه الكثيرة، ولكنك لو سألت كل واحد من هؤلاء عن « الشعر » وعما يفهم من هذه الكلمة الصغيرة ، لتبلبلت ألسنة ، واختلجت شفاه ، ولرأيت بسمات حائرة ، واخرى ساخرة ،واخرى ساذجة طافحة بمسرات الحياة ...

الشعر ! وهل يسأل عن الشعر ؟

ان الشعر هو الحياة نفسها .. في حسنها ودمامتها ، في صمتها وضجتها ، وفي هدوئها وثورتها ، في نومها ويقظتها ، وفي كل صورة من صورها ولون من ألوانها .

الشعر ! وهل يسأل عن الشعر ؟!

ان الشعر يا صاحبي ، هو ما تسمعه وتبصره في ضجة الريح وهدير البحار ، وفي بسمة الوردة الحائرة يدمدم فوقها النحل ويرفرف حواليها الفراش ، وفي النغمة المغردة يرسلها الطائر في الفضاء الفسيح ، وفي وسوسة الجدول الحالم المترنم بين الحقول ، وفي دمدمة النهر الهادر المتدفق نحو البحار وفي مطلع الشمس وخفوق النجوم ، وفي كل ما تراه وتسمعه ، وتكرهه وتحبه ، وتألفه وتخشاه . فهل بعد ذلك تسألني عن الشعر ؟

هكذا يجيبك الشاعر وهكذا يتحدث اليك الفنان . ويقول لك المؤرخ : انما الشعر يا هذا ما مثل عوائد الشعب وأخلاقه ، وعقائده وأوهامه ، وفضائله ورذائله ، واعطاك من كل ذلك صورة صادقة ناصعة للحق والتاريخ . ويجيبك قائلاً : هل الشعر يا صاحبي الا ما اوقفك في هيكل الوجود ، وعلمك الحكمة واسمعك اغاني الحياة وصلواتها . ويقول لك الراهب : هو الشعر يا بني كل ما تغنى بمجد الله في السموات والأرض ، واقتلع الكفر والزيغ من فؤاد الأنسان . ويقول لك الزاهد الشعر يا ابن اخي ، هو ما حبب الى النفس القناعة والزهد وأبعدها عن ضجة العالم ، لتصغي الى الله متكلماً . ويقول لك الشاب : هو ما يتغنى به قلبي حينما يسكره رحيق الحياة . وتقول لك العذراء : هو ما اسمعه من شفاه الشاب الجميل حينما يجالسني فأنسى العالم في جواره . ويقول لك الراعي : هو اغنيتي الجميلة في الصباح حينما اسوق المواشي بين المزارع ، واطارد الطير فوق الجبال ، والحان شبابتي في المساء ، حينما ارجع الى الحي وفي قلبي غبطة القناعة ، وفي عيني وميض السرور . ويجيبك

الحصاد قائلاً : هو تلك الاغاني البهيجة التي ترتلها جموع الشبان، واسراب الصبايا حينما يجتمعون بين الحقول لحصاد السنابل الشقراء وجمع الاغمار الناضجة . ويقول البحار : هو تلك الانشودة الساحرة التي اتلوها وانا بين أهوال البحر وزئير الامواج ، فتنسيني مخاوف اليم وتبعث في ساعدي قوة الجبار وفي قلبي عزم الشباب .

هكذا يجيبك هؤلاء عن الشعر. وكل واحد منهم انما اعطاك صورة من نفسه ورسم لك احلام قلبه في هاته الكلمة الصغيرة الكبيرة .

أما أنا فلا اريد ان ابلبلك فاقول لك : ان الشعر هو كل ما قال هؤلاء ـ وان كان ذلك حقاً ـ ثم امضي صامتاً. لانني اعتقد انك ستظل مبلبل النفس مضطرب المشاعر، تسائل نفسك من حين لآخر ما هو الشعر؟ بل انني سآخذ بيمينك وامضي بك في طريق معبدة واضحة ، لا ألتواء فيها ولا اشواك . وسأحدثك عن الشعر ، حديثاً هادئاً لا عنف فيه ولا قوة ، كاحاديث الاصدقاء في ليالي الصيف المقمرة وساحاول ان اجعله بسيطاً واضحاً سهلاً ، يرسم لك صورة مجردة عن الشعر ، ويعطيك مقياساً صحيحاً او قريباً من الصحة ـ على الاقل ـ لتفهمه وللحكم عليه . ولكنني ساوجز ما استطعت في تحدثي عن الشعر لانني وقد استوقفتك لتسمعني مكلماً عنه ، لا اريد ان اخذ عليك وقتك .

الشعر يا صديقي « تصوير وتعبير » تصوير لهذه الحياة التي تمر حواليك : مغنية ، ضاحكة ، لاهية . او مقطبة ، واجمة باكية . او وادعة حالمة ، راضية ، او مجدفة ، ثائرة ، ساخطة . او تصوير لآثار هذه الحياة التي تحس بها في اعماق قلبك، وتقلبات افكارك ، وخلجات نفسك ، ورفرفة احلامك وعواطفك .

وتعبير عن تلك الصور او هاته الآثار باسلوب فني جميل، ماؤه القوة والحياة، يقرأه الناس فيعلمون انه قطعة انسانية من لحم ودم وقلب وشعور لانهم يحسون انه قطعة من روح الشاعر ، وعبق من عواطفه ، او فلذة حية من فؤاد الحياة . هو هذا الاسلوب الذي يكون عنيفاً كالعاصفة حينما يمثل سخط الحياة او ثوران العواطف ، ويكون وادعاً كضوء القمر ، حينما يمثل طمأنينة الحياة وسكون النفس ، ويكون رقيقاً شجياً كأنات ناي بعيد ، حينما يمثل احلام الحياة ونجوى القلوب المتحابة ، ويكون كئيباً مظلماً كقلب الظلام ، حينما يمثل بؤس الحياة واحزان البشر .

فالتصوير الصادق الذي يريك تصورات الشاعر ارقى من تصورات البشر . والتعبير الفني الجميل الذي يكون قالباً انسانياً حياً لذلك المعنى الذي يشمله ذلك هو الذي ينبغي لك ان تبحث عنه ، كلما قرأت قصيداً او رتلت مقطوعاً ، او تصفحت ديواناً . فان وجدته فكن على يقين انك انما تقرأ شعر الحياة ، وانت اخطأته ، فاعلم انك تقرأ شعراً زائفاً لا قيمة له في سوق الخلود .

ولا يهمك بعد ان تجد «التصوير الصادق» و « التعبير الصحيح » أكان ذلك الشعر غنائياً يتغنى بخوالج النفس وعواطف الانسان ، ام كان قصصياً يقص عليك فصول الحياة كما هي او يرسم لك مثلها العليا كما توحيها اليه احلامه . ام كان تمثيلياً يمثل لك كثيراً من حقائق النفس وصور الحياة ، ومشاهد هذا الوجود . وانما الذي يهمك بعد ان استوثقت ان الذي بين يديك نتاج قريحة خصبة منتجة ،

وخيال حي صحيح ، هو ان تعرف هل انك تقرأ مثلاً أعلى من الشعر الانساني الذي يكاد يسمو الى درجة الألهام ، او انك تقرأ مثلاً دون ذلك !.. ولكي تدرك هاته الحقيقة فانظر هـل هو من ذلك النوع الذي يوسع افق الحيـاة في نفسك ، ويجعلها تحس بتيارات الوجود اكثر مما كانت تحس ، وتدرك من معانيه واصواته اكثر مما الفت ان تدرك ، وينسيك وجودك الانساني لحظة ، لتستغرق في عالم الجمال المطلق الذي يخلقه الشاعر حواليك ويسبغ منه على نفسك . أقول انظر فان كان من هذا النوع فاعلم انك تقرأ شعراً الاهياً لا تجود بمثله الحياة كثيراً ، والا فاعلم انك تقرأ مثلاً دون ذلك .

ذلك هو الشعر في نظري يا صديقي ، وهذا هو المقياس الذي اعرف به الشعر من غيره ، وأدرك به المثل الاعلى مما عداه . ولكنني قبل ان افارقك اقول لك : ان هذا المقياس من شأنه ان يقضي عليك ـ ان اتبعه ـ ان تلقي بكثير من اصنام الشعر ودواوين الشعراء الى النار او الى سلة المهملات. فان كنت رقيق القلب جم العواطف فأنني انصح لك في اخلاص ان لا تأخذ هذا المقياس يا صاحبي ، وان تقنع بمقياسك ان كان لك مقياس تقدر به قيم الشعر في عالم الأدب . وان كنت من الاخلاص للأدب والفن بحيث لا يحزنك مشهد الاصنام البشرية تحترق في جحيم الحياة ، ولا يحرك نفسك او يهز مشاعرك رؤية الاسفار الكثيرة تندثر في ظلام الاهمال وتنبعث منها رائحة الموت . فلتأخذ هذا المقياس ولتكن مخلصاً في استعماله ، وانا الكفيل بأنك تكون قد حزت مقياساً دقيقاً تعرف به كيف تفرق بين شعر الحياة الخالد ، وبين شعر السخافات والتقاليد .

يقظة الإحساس

واثر في الفرد والجماعة

تسمع الى هذا الشاعر فاذا أنت امام روح الاهي نبيل يسمو بنفسك الى افاق الحق والفن والجمال ويجعل منك كتلة من شعور قدسي مشبوب . وتسمع الى آخر فترى انك تسمع الى حديث ساذج بسيط لا يميزه عن احاديث الناس العادية إلا رنة النغم وتواتر القوافي وجمال التعبير وتسمع الى غيره فتخال انك تجلد بالسياط او تساق الى الموت على وجهك .

وتصغي لهذا المنشد او الموسيقار فيستفز نفسك ويثير وجدانك ويهز عواطف قلبك ويذكي خيالك الى اقصى مداه حتى تكاد تستحيل شعلة متوهجة من خيال وذكريات واحلام . وتصغي لسواه فـــلا تشعر وانت تصغي اليه الا بحلاوة في الصوت وجمال في المقاطع ورقة في النشيد وشيء من المتعة يخفف عن النفس اعباء العيش وشقاءه ، وتصغي لغير هذين فيكاد التثاؤب ينيمك والضجر يقضي عليك . وترى صورة لهذا الرسام او تمثالا لذلك النحات فتشعر بلذة روحية سامية تعرج بك الى سماء الالهام ومعارج الوحي البعيدة وترى لغير هذين فلا تحس في نفسك بغير الأعجاب البسيط الفاتر . وترى الآخرين فتظل نفسك هادئة ساكنة

كانك ما رأيت او تشمئز وتنفر وتفر بذوقك فراراً .

وهذا شعب من شعوب الارض ، يجد ويكدح وينتج ويخصب اينع الثمار واحلاها ، فاذا له حياته الأدبية الناضجة وحياته العلمية الراقية وحياته العادية المهذبة ومشاعره الطامحة الى ما هو اجل من ذلك واسمى ، الى المثل الاعلى المحجب في ظلام المجهول . وهذا شعب آخر ، منصرف الى التبطل ، والفراغ ، مخلد الى الكسل والخمول لا يعمل ، ولا ينتج ولا يجود على الانسانية بخير ، ليس له فن ولا علم ، ولا ادب ولا طموح ، بل ولا حيـــاة ... ايضاً . الا كما تحيا ماشية الحقل وآبدة الجبل ...

فما هو السر يا ترى في هذا التفاوت الواضح بين هؤلاء ؟

ستقول : الحرية . فكلما كان الفنان حراً في فنه ، كلما اكتشف آفاقاً جديدة من السحر والجمال . وبذلك يسمو على غيره ممن لا يعطي لفنه حرية الحياة .

وهذا حسن . لولا انه ان صح صرفه الى الفنان فانه لا يصح صرفه الى الشعوب لان كثيراً ما تجد الشعب حياً منتجاً تزخر في عروقه دماء الحياة وعزمها ، ومع ذلك لا يملك من الحرية ما يتكافأ مع حيويته ونتاجه . وهو فوق ذلك تعليل للشيء بغير علته . وعندي ان السبب الحقيقي لهذا التفاوت هو : «يقظة الاحساس» لا الحرية . لان حرية الفنان في فنه ، انما هي اثر من آثار هاته اليقظة الروحية وثمرة من ثمارها ، فاذا تيقظ الاحساس في قلب الشاعر والفنان ـ بتعبير اشمل ـ كان له ـ بالرغم عنه ـ استقلاله الذاتي الذي يشعره بانه قوة حية منتجة ، من المستحيل ان تندمج في سواها ، وان لا تشق لنفسها سبيلاً بكراً للمجد والحياة . وكانت له كرامة ترفع

عن ان تذوب في غيرها او تنحط الى درك التقليد . وبذلك تصبح نفسه شعلة حية نامية تتوهج في قلب الحياة . وطائراً سماوياً يتغنى بافكار واحلام البشر . واذا تيقظ الاحساس في روح الشعب تحركت في صدره - رغم كل شيء - تلك الاشواق الطامحة والرغبات الجامحة التي كانت مكبلة نائحة في ليل الدهور . وإذ ذاك يشعر بنفسه - واذا قلنا « يشعر بنفسه » فقد قلنا كل شيء - ويعلم انه عضو هاته الجامعة البشرية. عليه واجب السعي والعمل في سبيل كمال الانسانية المنشود، في سبيل مثل الحياة العليا ، في سبيل الحق والقوة والجمال .

واذا اردنا ان نستشهد التاريخ والواقع على ما نقول فهذا « المتنبي » الشاعر العربي وهذا « بيتهوفن » الموسيقار الالماني . وهذا « واطس » الرسام الرمزي الانكليزي . وهذا « ميكلانجلو » المثال الايطالي ، فكل من هؤلاء العظماء الاربعة قد كان له معاصروه ومعارضوه والضاربون معه في سبيل واحد . ولكنهم انفردوا دون معاصريهم بالعبقرية الخارقة والمجد والخلود . فما هو هذا السبب الاعظم الذي جعل الانسانية تمجد هؤلاء تمجيداً لا تمنح معشاره لمن عاصرهم مع الفنانين والشعراء ؟

انه يقظة في ارواح هؤلاء عدمها معاصروهم . يقظة روحية عميقة سامية هي التي كانت تملؤهم شعوراً بانفسهم وبالحياة . ومن شعر بنفسه حق الشعور احترمها وسما بها عن مواطن الضعة والحقارة . ومن شعر بالحياة حق الشعور لم يستطع ان يكون بوقاً يردد صدى غيره ولا بركة آسنة تعكس صفحتها ظلاله ... بل كان بحراً رحيباً داوياً يدمدم بما في اعماقه من قوة وعزم واهوال يقظة روحية عميقة .

وتلك هي التي كانت تعلم « المتنبي » من سنن الحياة وغرائزها وقواعد الاجتماع ونواميسه ما لا يعلمه سواه . وتنطقه بذلك الاسلوب الحي المتماسك الاجزاء الممتلىء قوة وجمالاً . وهي التي كانت تخلق حول روح « بيتهوفن » جواً شعرياً من الانغام السماوية الخالدة ، وتفيض على موسيقاه ما في هاته الحياة العاصفة وقلب الانسان من افراح راقصة في ضياء القمر ، وآلام متفجعة في ديجور الاسى ، واحلام تغني للفجر اناشيد الضياء . واشواق تلتهب بنار الوجد والحنين . وهي التي كانت تجسد لـ « واطسن » معاني الحياة والحب والموت ، وتريه من الاحلام والعواطف والافكار صوراً سحرية رائعة لم تخطر على قلب بشر . وهي التي كانت تنبه « ميكلانجو » الى ما في تماثيل عصره من مرض وحور وجمال شاحب مهزول ، كاد ينقلب دمامة شوهاء في نظر الشعور الدافق والذوق القويم . وتهيب به ان ينهض بهذا الفن المحتضر وينفخ فيه روحاً جديدة ليمثل جمال القوة المهيب.

وهذه الامة العربية . كانت بالامس رائد العالم ورسول المدنية والنور حين كانت روحها مستيقظة ناهضة ، واحساسها مضطرماً مشبوباً . ثم امست في آخر القافلة الانسانية نائمة تلوك احلام الماضي لما تبلد احساسها وفقدت شعورها بنفسها وبالحياة . ثم ها هي اليوم تحاول النهوض واليقظة ثانية لان روحها قد اخذت تستيقظ من جديد .

ثم ان هناك ظاهرة قد تكون لأول وهلة غريبة ومثارا للحيرة والتساؤل وهي ان الآداب والفنون ، كثيراً ما تزدهر في عصور الثورات والانقلابات وبين الجماجم المنثورة والدماء الجارية . بل وربما كانت احياناً ابهى منظراً وأعبق شذى

وأنطق بمعاني الحياة من آداب الراحة والأمن والسلام وفنونها . اما انا فلا أراها غريبة ولا مدهشة ، بل اراها نتيجة منطقية ومعقولة لنفسية الامة الجائشة ، لأن الثورات لا تحدث الا والنفوس اكثر احساساً بالحياة وملل من الحاضر ، وشوق الى المستقبل . وطموح الى المجهول ... وتلك هي يقظة الاحساس بمعناها الشامل العميق . وان شعبا يكون مستيقظ المشاعر متسع جوانب الحياة ، لجدير بان يستخرج خير ما في الطبيعة من فن وحق . وان فناً يكون مصدره ذلك العطش الروحي الذي يلهب النفوس ، وتلك العواطف الثائرة التي تعصف في قلب الشعب ، وبعبارة اخرى ، ان فناً يكون مصدره تلك اليقظة الروحية العميقة التي سميناها « يقظة الاحساس » لهو الفن الحي في صميمه ، الفن الذي لا ينصرف الى القشور ولا يقنع بما دون اللباب .

ومن هنا تفهم معي ان يقظة الاحساس هي روح الحياة المنتجة الولود التي تصقل العبقرية وتؤجج نيران النبوغ .

صفحات رامية

... تلك حياة بعيدة ... تجلت كالفجر ، وتوارت كالحلم ، واضمحلت في ظلام القبور .

تلك حياة جميلة ... قد تهادت غيمة وردية في سماء الوجود ، وتدفقت نهراً مترنماً بأحلام البحار ، ثم سارت جدولا صامتاً في اودية الموت ...

تلك حياة شعرية ساحرة ... قد حاكها الامس من آصال الفردوس واسحاره ، ووشتها انامل الدهر بأزهار الربيع ...

تلك حياة قصية نائية ... قد تألقت كالنجوم ، وتبخرت كالغيوم ، واضمحلت كأنفاس الزهور ...

تلك حياة فتية حالمة ... ما استحمت في لجة الليالي والايام ، ونشرت غدائرها الذهبية فوق المياه ... حتى تخطفتها المنايا وسارت بها الى مأواها البعيد ... وهناك ، في ظلمات الابد الغامض الرهيب ، تتألم تلك الحياة الشقية ، وتبكي وحدها بين الصخور ...

***

... كنا نسير نحو الغاب ، وكانت غماغم الحقول تحدثنا عن الحب

والحياة ، وكانت تقنع السماء سحابة رقيقة ساجية ، كأنها قناع حورية من بنات الاحلام ... او رداء ملك من ملائكة الفردوس ... وكان الغاب يبدو في ضيـــاء القمر كرؤيا نبي او خيـال شاعر ... وكان الحب يتهادى امامنا ، ثملاً بين المروج الناعسة في سكون الليل، وعلى منكبيه درع قصير كضباب الصباح ، جميل كغيوم الربيع ... ومن حوليه بنات الربيع يتناغين بصوت اعذب من اغاني السواقي بين الحقول ...

ولما اقتربنا من الغاب سمعنا طائراً يغني انشودة القمر ... وسمعنا قيثارة الحب تترنم في جواره ... وسمعنا صوتك العذب الجميل يتغنى بوحي الجمال ، يا ابنة الليل ، ويا ربة الاحلام .

ولما جلسنا في ظلال الزيتون ، وبين اشجار اللوز المزهرة ، كان الطائر قد سكت ، وكانت قيثارة الحب تتأوه في يديك ، يا ابنة الليل ويا ربة الاحلام،وكانت اناشيد الغرام تتنزل علينا من مكان بعيد ...

ولبثنا نصغي لانشودة الحب ، حتى توسط البدر قبة السماء ؛ واختلجت كواكب الليـل ، واذ ذاك شعرت بالحب يستجيش في قلـبي ، وبالحياة تتدفـق من شفتي .

* * *

تلك كانت حياتي بالامس ، حينما كانت نفسي بخوراً يتضوع في معبد الحب ، ورحيقاً يهرق تحت اقدام الجمال ، وانشودة الاهية ، تتغنى في هيكل هذا الوجود ...

تلك كانت حياتي بالامس ، حينما تمايلت في قلبي رؤى الحب الجميل كما تتمايل غلائل الحور في ضياء القمر،واصطفقت في صدري احلام الشباب الاولى، كما تصطفق امواج البحيرة الموردة بأشعة الشفق الجميل ...

تلك كانت حياتي بالامس ، حينما كان هذا القلب الخفوق يتضوع بعبق الحياة ، ويتوهج بنار الخلود ، ويزخر بشتى العواطف الاحلام ... وحينما كانت نفسي تركع في محاريب الغاب الجميل ، مرتلة صلاة الحب واغاني الفصول ...

تلك كانت حياتي بالامس ، حينما طفح بقلبي خمر الحياة ، وترنمت في نفسي اغاني الوجود ، وراقصت احلامي عرائس الغابات ...

تلك كانت حياتي بالأمس ، وما شيده الأمس في ضباب الفجر المرصع بالنجوم ... قد هدمته الاهوال في احشاء الكهوف العابسة ، وافنت بقاياه غيلان الظلام ...

تلك كانت حياتي بالامس ، اما اليوم ، فقد انكسرت بين ثلوج الموت تلك الزهرة السماوية الطاهرة،التي كانت تحبب لي البقاء في هذا العالم ، وبقيت وحدي بين الصخور ، أشبب بالموت وأتغزل بأهواء القبور ...

اغنية الألم

ما امرك ايها الألم وما اعذبك !

ايتها المرارة ، التي اترعت اودية الحياة بأمواج الدموع ، وملأت آفاق الوجود بأيات النفوس الدامية !

ايتها اليد الرهيبة الهائلة ، التي حطمت على شفاه القلوب كؤوس الاحلام ، واراقت رحيق النفوس بكهف الظلام .

ايها الهول الذي ترهبنا ملامحه وتخيفنا ذكرياته .

ايها الألم الرائع الذي نحبه ونخشاه ..

انك انت الشعاع الازلي الجميل ، الذي وشح ظلمة نفسي بالشفق ، ورصعها بالنجوم ، وتوجها باضواء الصباح . !

وانت ، انت الصوت الالهي النبيل ، الذي اوحى الينا اناشيد السماء ، وعلمنا كيف نغني للبشرية اغاني الجمال ...

وانت ، انت المنبع السحري الغريب ، الذي ينمق سبل الانسانية المضرجة بالدماء ، بأوراد الحياة وازهارها .

ايها الألم الالهي النبيل ، الذي نحبه ونخشاه . ترى اية شفة ترشفت رضاب

الحياة ، ولم يطهرها لهيب الحياة ؟! واية زهرة تلفت قبل الربيع ولم يروع الشتاء احلامها ؟! واية نفس بشرية عانق الفجر روحها بجناحيه ، ولم تراقصها اهوال الظلام ، ولا عذبتها ابالسة الجحيم ؟!

لنبحث ايتها الحياة ، على قدمى ذاك الجبار الجميل ، المحدق بما وراء هذا الوجود .

ولنسجد ايتها الليالي والايام ، الى تلك الاجنحة النارية المشبوبة باوجاع القلوب ، والتي تسمو بالنفس البشرية الى اقصى آفاق الخلود ، وتنحدر بها الى ظلمات الحياة . أيان تضطرب عواطف الوجود الغامضة ، وترتعش شكوك البشر ، وتتمايل احزان الدهور . أيان تلقى (المعري) لزومياته ، وتغني (الخيام) برباعياته ، ويرتل الخالدون انجيل الحياة !!

ولتتغن يا قلبي بأنشودة الاحزان المرة الى الابد .!

لتركع ايها الوجود بخشوع امام تلك القوة الالهية ، التي تصوغ من دماء النفوس واناتها اقدس ما في هذا العالم ، وابدع ما في مشاعر الايام ، وتنشىء من ظلمات القلوب صباحاً ساحراً سرمدياً ، لا تكدره الرياح .!

ولنقدس ايتها الليالي والأيام ، تلك الاشعة الوردية الصافية ، تنبت حول جداول الاحلام الدامية ، هاتيك الزهور النارية المقدسة ، التي نستنشىء عبيرها من لوعة (المجنون) واغانيه . ولتترنم يا قلبي بأغنية الآلام المرة حتى الابد .!

لنصل ايتها الكائنات بخضوع امام ذلك الضباب السحري ، الذي يستر بنقابه عرائس الشعر وعذارى الاحلام .!

ولتغن ايتها الليالي والايام ، بمجد تلك الشعلة الخالدة ، التي انارت للبشرية سبيل الحياة الغامضة ، وهدتها إلى شجرة المعرفة ، التي لا تنبت إلا على ضفة نهر الدموع والاحزان . ولترتل يا قلبي في سكون ، اغاني الاوجاع المرة حتى الابد . !

ولتمجد يأيها الغاب المنتحب ، ويأيها الوادي الكئيب . ويأيها الكهف الاخرس ، ويأيتها الحيرة الواجمة ، ويأيتها الحياة المغمورة بالدماء ، ويأيتها الانسانية التائهة ، المتوجة بالاشواك ، الريانة بالدموع ، السائرة على بساط لهيب الاوجاع ، لنقدس كلنا ذلك الألم ، الذي يجعل من الشاعر قيثارة غريبة غامضة ، منطرحة في ملتقى رياح الوجود ، صداحة باغاني الحب والجمال . ! !

لترتل يا قلبي الكئيب البائس ، انشودة الالام المرة بالدموع ، ولترددها على مسمع الظلام حتى الأبد . ! ! !

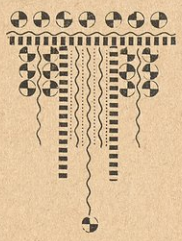

فهرس

الدراسة

٣ الاهداء
٥ مقدمة
١٥ مقدمة الطبعة الثانية
١٨ كتب حية
٣٥ رسالة خاصة من ميخائيل نعيمة
٣٧ الحياة الثقافية
٤٥ حياة الشاعر
٥٣ البيئة الاجتماعية
٧٠ الادب المهجري
٧٨ تصوير وتعبير
٨٩ زواج وحب
٩٧ مؤلفات الشابي
١٠٧ خاتمة

المختارات

« ما قبل العشرين »

١١٧ شعري
١١٩ تونس الجميلة
١٢٠ زئير العاصفة
١٢٢ الحرب
١٢٣ لعلعة الحق
١٢٤ في الظلام
١٢٥ الزنبقة الذابلة
١٢٧ الدموع
١٢٩ اغنية الاحزان
١٣٢ نظرة في الحياة
١٣٤ مأتم القلب
١٣٦ الأمل والقنوط
١٣٧ شكوى اليتيم
١٣٩ ايها الليل
١٤٣ الملل الاليم
١٤٤ ايها الحب
١٤٥ حيرة
١٤٦ جدول الحب
١٥١ انشودة الرعد
١٥٣ يا شعر

« ما بعد العشرين »

١٦١ مناجاة
١٦٤ الايمان بالحياة
١٦٥ الجمال المنشود
١٦٧ يا ابن امي
١٦٩ الى طغاة العالم
١٧٠ إرادة الحياة
١٧٤ صلوات في هيكل الحب
١٧٨ الساحرة
١٨١ ألحاني السكرى
١٨٤ تحت الغصون
١٨٨ قلب الشاعر
١٩٠ الأبد الصغير
١٩٢ قال قلبي للاله
١٩٣ زوبعة في الظلام
١٩٤ قلب الام
١٩٥ الجنة الضائعة
٢٠٥ انا ابكيك الحب
٢٠٧ اغاني التائه
٢٠٩ في ظل وادي الموت
٢١١ النبي المجهول
٢١٥ الرواية الغريبة
٢١٦ الاشواق التائهة
٢١٨ الناس
٢١٩ امل الشاعر
٢٢٠ ايتها الحالمة بين العواصف
٢٢١ في ظلال الغاب
٢٢٤ فكرة الفنان
٢٢٦ من اغاني الرعاة
٢٢٩ نشيد الجبار
٢٣٢ الصباح الجديد

« نماذج من النثر »

٢٣٧ الشعر ...
٢٤٢ يقظة الاحساس
٢٤٧ صفحات دامية
٢٥٠ اغنية الالم
٢٥٣ فهرس

للمؤلف

كتب مطبوعة

١ – مايس شهر الدماء والدموع في المغرب العربي « نفد »
مطبعة بغداد – بغداد ١٩٥١
٢ – الشابي – حياته وشعره الطبعة الاولى ١٩٥٢ نشر
المكتبة العلمية ببيروت « نفد »
٣ – كفاح وحب نشر المكتبة العلمية ببيروت
٤ – حصاد القلم نشر مكتبة الفرجاني بطرابلس الغرب
٩٥٤ « نفد »

كتب للطبع

١ – شاعرات عراقيات
٢ – العرب وابن خلدون
٣ – تونس والشعراء
٤ – شعراء الخضراء
٥ – الشابي في حياته وبعد موته

تحت الطبع

الوطنية في شعر الشابي

من منشورات

المكتبة العلمية ومطبعتها

شارع الأمير بشير – بيروت

•

الشابي – حياته وشعره	الاستاذ ابو القاسم محمد كرو
شاعران معاصران (ابو القاسم الشابي وابراهيم طوقان)	الدكتور عمر فروخ
رباعيات الخيام (رباعيات فتزجيرالد)	الدكتور احمد زكي ابو شادي
كيف ينهض العرب	الاستاذ عمر فاخوري
سلسلة كتب للأطفال	الاستاذ رشاد المغربي دارغوث

الثمن ٣٥٠ قرشاً لبنانياً أو ما يعادلها

مطبعة دار الكتب – بيروت – بناية اللعازارية

893.7 Shll
DK

BOUND
JUL 19 1955

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU58879110
893.7Sh11 DK
Shabbi : hayatuhu, s